

الفصل الثالث:

موقف عنيزة من حملة خورشيد باشا:

1- حملة خورشيد باشا في عنيزة

2- آثار ونتائج الحملة على عنيزة

3- نهاية الحملة وآثارها .

اولاً: حملة خورشيد باشا في عنيزة

1- معركة عنيزة ضد خورشيد في روايات ابن بشر وغيره :

روى ابن بشر في حوادثه أنه في آخر صفر لعام 1254هـ /1838م أقبل خورشيد باشا من الحناكية بعساكره ومعه جلوي بن تركي ، ونزل بلد عنيزة فتابعوه ، ووفد عليه أمراء بلدان القصيم ، وكثير من رؤساء العربان ، ولما كان في أول ربيع الأول ثارت الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خورشيد ، وكان من أسباب هذه الحرب أنه سُرق لخورشيد باشا عُمانيتان من الركايب ، فقيل له إن أناساً من الحرامية يسألون العسكر في أثناء النهار كي يعطوهم صدقة ، وفي أثناء الليل يسرقون ، فأمر خورشيد باشا أن يكون هناك حرس يدورون بالليل خارج العسكر للحراسة ، فأمسكوا رجلاً من أهل عنيزة خارجاً من البلد إلى نخله في الليل ، فقال لهم: أنا من أهل هذا البلد—أي عنيزة –، وأنا

ظاهر إلى نخلي فمشوا معه إلى نخله ، فلما أقبل على النخل تكلم لأبيه فجاء إليه فقبض عليهما العسكر وأمسكوا بهما ، وعدلوا بهما إلى ناحية العسكر وقاموا بذبحهما ونقلوهما إلى النفود المقابل للبلد ، ودفنوهما فيه . فلما أصبح أهل النخل ولم يأت إليهم أبوهم ولا أخوهم تبعوا آثرهم فوجدوهما مدفونين فأخرجوهما ، فقال " يحيى " أمير عنيزة أرموهم عند خيمة خورشيد ، ولما ظهر من البلد متجهاً إلى خورشيد في خيمته ، وعندما أراد الدخول عليه جردّوه قواويس الباشا من سلاحه وأخذوا سيفه على العادة أنه لا يدخل عليه أحد بسلاح ، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلد وقال أميركم قتل ، وشاع هذا الخبر في المدينة ، وكان جملة العسكر في وسط البلدة يبيعون ويشترون ، فهاجمهم أهل البلدة وقتلوا كل من وجدوه إلا رجلاً دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد، فقال ليحيى :إنَّ بلدكم حدث فيها سمطة [1]،ومعنى سمطة أي مشكلة . وأشار رجل ليحي وغمض فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها ، وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق، ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب فيمن كان خارج البلد فقتلوهم ، وحاصروا أهل الضبط المعروف خارج عنيزة ، وقاموا بقتل أهله كلهم وهم نحو خمسين رجلاً ، ونهبوا ما في قصرهم ، ثم ثارت الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام ، ثم وقع الصلح بينهم ، فلبث خورشيد باشا في عنيزة خمسة أشهر. وخلال هذه المدة التي أقامها خورشيد باشا في عنيزة وفد عليه عبد الله بن على ابن رشيد رئيس جبل شمر من جهة الإمام فيصل فأعطاه الباشا وكساه وأكرمه . وقدم على خورشيد في عنيزة محمد الدويش رئيس مطير ، وفهد الصيفي رئيس سبيع ، ثم إن خورشيد استلحق أحمد السديري ، وهو الأمير في سدير قدم إليه فأكرمه وكساه وبنى له خيمة وحده ، وكسا خدامه فأقام عنده ، وفي مده إقامة الباشا خورشيد في

---

[1] ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، 2/163-164

عنيزة استأذن (جلوي بن تركي) الباشا يقصد بريدة لقضاء حاجة له فيها ، فأذن له فلّما وصلها هرب إلى أخيه الإمام فيصل وهو في الخرج ، لأنه عرف أن خورشيد باشا تصدّى لحرب أخيه ، فهرب عنده لخوفه من الباشا ، ثم إن خورشيد باشا سعى في بناء قصر الصفا المعروف في عنيزة ، فبناه وجعل فيه عسكر وذخيرة . فلما كان في آخر رجب رحل من عنيزة بعدده وعدته ، ومعه كثير من العساكر المصرية والشامية ، ونزل الوشم ، ثم رحل وسار إلى الرياض ، و استلحق عساكر له عند القويعية ، ثم رحل من الرياض وركب معه خالد وأهل الرياض

و أهل العارض ، وسار الجميع إلى الدلم ، وفيها الإمام فيصل وقد ثبت لحربهم [1].

أما الوثائق فتذكر أن سبب الحادثة مشكلة وقعت بين جندي وبدوي أدت إلى توتر الموقف ونشوب قتال شديد بين أهل عنيزة وقوات خورشيد ، اضطرت القوات على أثره ، إلى محاصرة عنيزة ، وتهديم بروجها وأسوارها ، دون تهديم المدينة ذاتها ، لمكانتها التجارية ، وأهميتها الاقتصادية ، لأهل المنطقة ولكثير من تجار مصر والشام ، فما كان من أهلها إلا طلب الأمان من جديد وإعلان الولاء ، فقام خورشيد بدخول البلدة والاستقرار بها مدة خمسة أشهر. [1]

ثم أرسل إلى محافظ المدينة و إلى حاكم عام الحجاز في مكة يطلب منهما تزويده بالإمدادات ، لكي يستطيع الاستمرار في إكمال مهمته ، ولم تسمح

---

[1] ابن بشر،عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 164-165 .

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (264) عابدين ، وثيقة (208) زرقاء ، من خورشيد إلى القائد العام ، بتاريخ 4 ربيع الأول 1245هـ / 28 مايو 1838 وانظر ، عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ص، 305-306 .

له الظروف حتى ذلك الوقت ، بالإطلاع على أحوال البلاد التي هو بها والتي تبدوا له ، على حد تعبيره أنها بلاد زراعية[2]

وقد وقف جلوي بن تركي على حقيقة الاستعدادات التي تجري ضد أخيه في عنيزة ، ورأى أنه لابد من إخباره لعله يتدارك الأمر قبل فوات الأوان ، فاستأذن من خورشيد في الذهاب لبريدة لقضاء حاجة له، فأذن له، ولكن جلوي، هرب من بريدة ، قاصداً أخاه فيصل في الخرج ، حيث شرح له ما يدبر ضده ، والاستعدادات التي تجري على قدم وساق للقضاء عليه .[3]

وتذكر إحدى الوثائق أنه عل إثر وصول جلوي إلى فيصل ، قام فيصل بإرسال كتاب إلى خورشيد ، فهم منه سوء قصد فيصل ، وتذكر الوثائق أيضا أن فيصلاً قد قتل (عثمان بك) وهو أمير أحد الألوية عند خورشيد باشا .[1] ويقول (السلمان) في مجلة العرب بعنوان : " معركة عنيزة ضد حملة خورشيد بين المصادر النجدية والوثائق التركية المصرية " :- تعتبر حملة خورشيد باشا على نجد أهم حملات محمد علي باشا حاكم مصر على دولة الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام 1254هـ - ليثأر من هزيمة حملة إسماعيل بك ومعه خالد بن سعود في الحوطة والحريق عام 1253هـ ، وليقضي على الدولة السعودية الثانية في الجزيرة العربية[2]. وفي صفر 1254هـ أواخر 1837م بدأ خورشيد سيره بحملته من الحناكية إلى عنيزة ، وقد قسم جنوده إلى قسمين كل قسم يغادر الموقع قبيل وصول القسم

---

[2] دار الوثائق القومية ، محفظة (264) عابدين ، وثيقة (208) زرقاء ، من خورشيد إلى القائد العام ، بتاريخ 4 ربيع الأول 1245هـ / 28 مايو 1838؛وانظر،عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، 305-306 .

[3] عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص306

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (264) عابدين ، وثيقة (208) زرقاء ، من خورشيد إلى القائد العام ، بتاريخ 4 ربيع الأول 1245هـ / 28 مايو 1838 وانظر ، عبد الرحيم ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ،ص، 305-306 .

[2] محمد عبد الله السلمان ، معركة عنيزة ضد حملة خورشيد ،العرب مجلة شهرية ج 10/9 س 22 الربيعان 1408 – تشرين ثاني /كانون (نوفمبر / ديسمبر) 1987م

الآخر . ويعلل خورشيد ذلك بقوله (حتى لا يزدحم العسكر على الماء وعلى الطريق) . ويذكر أنهم عسكروا في قرية (الرويضة)[3] لعذوبة مائها ، وكثرة الكلأ والمراعي حولها و ثم نزلوا (الشبيبة)ثم توجهوا إلى عنيزة وقبل وصولهم إليها وفد على "خورشيد " عبدا لعزيز بن محمد آل أبو عُليان أمير بريدة ، ومعه أمراء قرى القصيم يطلبون الأمان ويقدمون له الطاعة التامة . أما أمير " عنيزة" يحيى بن سُليم فيذكر أنه لم يأت لأنه خائف من مغبة ما عمله من مخالفة دون ذكر هذه المخالفة ولعل المقصود بها عندما قتل يحيى السليم عبد الله الجمعى الموالي للمصريين في عنيزة عام 1239 وتولى إمارة عنيزة ولكن أرسل أخاه بدله ، طالباً الأمان ،

ولكن خورشيد رده وأمر أن يأتي يحيى بنفسه. وفعلاً جاء " يحيى " مع كبار أهل عنيزة طالبين الأمان[1]. ثم سار خورشيد ودخل عنيزة في يوم20 صفر عام 1254 هـ ، ونصبوا الخيام في المعسكر خارج البلد[2]

2- معركة عنيزة في روايات الوثائق:

وما أن مضت ثلاثة أيام على وصولهم حتى حصلت معركة بينهم وبين أهل عنيزة ، راح ضحيتها عدد من القتلى من الطرفين . وقد أوردها بعض مؤرخي نجد ، وأهمهم ابن بشر بصورة غير التي أوردتها الوثائق ، فابن بشر ذكر قصة العمانيتاً من الإبل التي أشرت إليها سابقاً ، أما الوثائق فترويها بصورة أخرى ، وذلك بناء على التقرير الذي أرسله خورشيد باشا إلى حكومته في القاهرة ، حيث ذكر أنه في اليوم الثالث لنزولهم عنيزة نزل جندي من الترك إلى سوق عنيزة داخل البلد ،

---

[3] تقع الرويضة شمال الرس . وتقع الشبيبة غربي عنيزة . انظر معجم القصيم "1079/3 و 1196 "

[1] ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ،ص153.

[2] دار الوثائق بالقاهرة محفظة (264) عابدين وثيقة رقم (208) زرقاء من خورشيد باشا إلى القائد العام في 4 ربيع أول عام 1254هـ ومحفظة (264) وثيقة 129 حمراء،وانظر محمد عبد الله السلمان ، معركة عنيزة ضد حملة خورشيد ،العرب مجلة شهرية ج 10/9 س 22 الربيعان 1408 – تشرين ثاني / كانون (نوفمبر / ديسمبر) 1987م

فحصل بينه وبين أحد البادية نزاع من أجل كرم " عنب " أدى إلى قيام الجندي بقتل هذا البدوي ، فما كان من أهل البلدة إلا أن قاموا وقتلوا الجندي التركي وبهذا شب القتال بين أهل البلدة وباقي العسكر ، وأغلقوا أبوابها ، وبادروا إلى أسلحتهم ، واحتلوا السور والبروج المحيطة به،[3] عند ذلك أمر خورشيد بنصب ثلاثة مدافع في ثلاثة أمكنة ، وأمام ثلاثة جهات في عنيزة أحدهما أمام "الباطن"والثاني أمام " قصر الصفا " ، والثالث في مكان لم يعينه . كما قام بعض الفرسان باحتلال بعض البساتين وبروجها ، ونشب القتال بين الطرفين ، وأخذت المدافع تضرب سور المدينة بعد أن قام الأهالي بإطلاق النار من بنادقهم على العسكر ، واستمر ذلك يومين وليلة ، ويذكر أن أهالي البلد كانوا يحاولون الخروج من السور ، والهجوم على العساكر فتتلقاهم الفرسان الذين في البساتين القريبة من السور فتجهز عليهم ، ولقد أسفر القتال عن قتل مئة رجل من أهالي البلد ، قتلوا عند خروجهم من عنيزه ، وعن مائتي قتيل قتلتهم المدافع ، كما تهدمت بعض البروج وجزء من السور[1]، ويذكر خورشيد أنه أراد تدمير البلد بكامله لكنه تراجع لأهميتها ، فهي مركز تجاري كبير في المنطقة يختلف إليه التجار من بغداد والشام ، ويقصده الأعراب ببضائعهم ، وفي تدميره خسارة على هؤلاء من ناحية ، وضرر على طريق إمداد الحملة بالمؤن والذخيرة ، ثم يذكر أن أهل البلدة لم يلبثوا أن طلبوا الأمان فأجيب طلبهم ، بعد أن قتل من العسكر اثنا عشر قتيلاً وثمانية عشر جريحاً. [2]

3- ملاحظات على الروايتين :

وهكذا ترى تباين الروايتين في سبب القتال وعدد القتلى[3] ويرى " السلمان " على الروايتين عدة ملاحظات : 1-أن السبب الذي ذكره " ابن بشر" لنشوب

---

[3] دار الوثائق بالقاهرة: محفظة (264) عابدين ، وثيقة رقم (208) زرقاء

[1] دار الوثائق بالقاهرة :محفظة (264) عابدين ، وثيقة رقم (208) زرقاء

[2] محمد السلمان ، معركة عنيزة ضد حملة خورشيد ، مجلة العرب ،ص، 625-626 .

[3] يورد المؤرخ (وايندر) حصراً مخالفاً في عدد القتلى من الجانبين فيذكر أنهم يتراوحون بين 140 – 418

القتال قد يكون أكثر قبولاً ، فمن المرجح أن " خورشيد " في تقريره حاول أن يبرئ نفسه من أن تكون له يد في نشوب قتال بسبب عمانيتين له قد سُرقتا ، فاختلق هذا السبب أمام حكومته في القاهرة .

2-أن تقرير خورشيد لعدد القتلى غير مطابق للحقيقة ، إذ من المرجح أنه يحاول زيادة عدد قتلى عدوه وتقليل عدد قتلاه في تقريره الذي سيرفقه إلى حكومته .

3-تدل الواقعة وتفصيلاتها في الروايتين معاً على أن خضوع سكان المنطقة هناك للحملات المصرية لم يكن جبناً بقدر ما هو سير في الطريق الأسلم لهم ولمنطقتهم ، وعدم الدخول في حرب معها معروفة نتائجها لصالح عدوهم لكثرة عدده وعتاده. [1]

4-دلت الوثيقة على ما تتمتع به منطقة القصيم عامة ومدينة (عنيزة) خاصة من حركة تجارية واسعة لم تنقطع حتى في ظروف مجيء الحملات المصرية ، وانعدام قيام سلطة مركزية وطنية[2].

ويرى د/ "محمد الثنيان " أن حرب "خورشيد " لعنيزة يعد أول محك واختبار لقواته ، لاسيما أنها حدثت في الوهلة الأولى من وصول هذه القوات إلى نجد وإلى القصيم بالذات كما أنها تعد واحدة من الملاحم التي ذاد بها سكان وسط الجزيرة عن كيانهم ، وجزء لا يتجزأ من هذا التاريخ الحاسم ، كذلك من الأمور التي تدخل ضمن نمط أهمية هذه الحرب ، الاحتمال الكبير في أنها السبب الكامن الذي أبطأ بخورشيد خمسة أشهر ثمينة عن مهمته العاجلة ،

وانظر، Winder, Saudi Arabia P 198 ، أما الفاخري فيوافق ابن بشر في جعل قتلى العسكر (90) وقتلى عنيزة (50) انظر محمد الفاخري " الأخبار النجدية " ص 174

[1] ورد في وثيقة أخرى أن أهل عنيزة سيثورون إذا كلفوا بأقل شيء . وقد أطلق خورشيد على سور عنيزة ألف قذيفة فلم ينهدم سوى جانب من السور الذي يتراوح عرضه بين 3-4 أذرع من الطين المصبوب . محفظة (264) وثيقة (260) حمراء .

[2] محمد السلمان ، معركة عنيزة ضد حملة خورشيد ، مجلة العرب ،ص، 626- 627.

وهذه الحرب ذات شقين :- قتال داخل عنيزة ، ثم حصار لها من قبل جيش خورشيد . ووثيقة " خورشيد " تغطى شق الحصار الذي قصرت فيه المصادر النجدية –كما يرى الثنيان ـ.[3]والمصادر التاريخية التي كتبت عن هذه الحادثة تتباين بعض الشيء في تاريخ حدوثها ، فالوثيقة التركية تشير إلى أن خورشيد وصل إلى عنيزة في اليوم العشرين من شهر صفر 1254هـ واندلعت الحرب بعد ثلاثة أيام من وصوله ، وبالتحديد يوم الثلاثاء[1] ويقول المؤرخ " محمد بن عمر الفاخري " :- وصل خورشيد إلى عنيزة لعشر بقين من صفر ، فبعد نزوله بأيام حصلت منافرة وجرت بينهم وقعة "[2]

ومن هنا يتضح مدى تطابق الروايتين فيما يتعلق بتاريخ وصول خورشيد إلى عنيزة ، ومدى تقاربهما في تاريخ بداية هذه الحرب . ولكن هناك بعض الاختلاف الطفيف عن هاتين الروايتين ، وذلك عند المؤرخ عثمان بن بشر إذ يقول :" وفي آخر صفر أقبل خورشيد باشا من الحناكية ، ونزل في بلد عنيزة ، فلما كان في أول ربيع الأول ثار الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خورشيد " .

ومن هنا يتضح أن ابن بشر قد أرّخ قدوم خورشيد إلى عنيزة بآخر شهر صفر مطلقاً دون تحديد دقيق ، كما هو في تاريخ الفاخري أو في الوثيقة التركية . وعيّن اليوم الأول من شهر ربيع الأول بداية لتلك الحرب ، مخالفاً بهذا التاريخ ما جاء

[3] محمد الثنيان،انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز 1/ 248-249(1408هـ / 1988 م) مركز النشر العلمي /جدة

[1] دار الوثائق القومية – عابدين الوثيقة رقم (208) زرقاء ، محفظة 264 ، ، مؤرخة في 4 ربيع الأول 1254 هـ تقرير مرفوع من خورشيد باشا يشرح فيه وقائع تحركه من المدينة – الحناكية وحتى عنيزة ، سأشير إلى هذه الوثيقة كما أوردها الثنيان في بحثه المذكور بـ " تقرير خورشيد " ، ووردت في محمد على وشبه الجزيرة لعبد الرحيم ، (القاهرة : (140هـ/1981م) ص ص 303 – 306

[2] محمد بن عمر ألفاخري ، الأخبار النجدية ،ص174 ، تحقيق د/ عبد الله بن يوسف الشبل ، الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود

بالوثيقة التركية وما رواه الفاخري وبقية المؤرخين النجديين كابن عيسى[3] وابن بسام[4] وعلى كل فالفرق بين هذين التاريخين أيام لا تزيد عن الثلاثة .

أما المدة التي استغرقتها تلك الحرب أو بالأحرى الحصار ، فالوثيقة التركية تحددها كالآتي : " وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت نار الحرب فيه يومين وليلة "[5] ،ويقول ابن بشر(ثم ثارالحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام .)[1] أما الفاخري وبقية المؤرخين النجديين فلا يعينون مدة محددة لفترة الحرب أو الحصار ولا يذكرون شيئاً عن هذا . ولكن توحي رواياتهم وتسلسل الأحداث التي ذكروها بعد ذلك أن فترة الحرب كانت قصيرة ، وهذا يتفق مع رواية ابن بشر وتقرير خورشيد بالوثيقة التركية .ونخلص من هذا كله إلى أن هذه الحرب جرت في العشر الأواخر من شهر صفر ، واستغرقت مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام .

وإذا تتبعنا مجريات تلك الحادثة كي نحاول رسم صورة لها ،اعتماداً على تحليل الدكتور محمد الثنيان فإن المصادر التاريخية المتوفرة تعطي انطباعاً بأن هذه الحرب كانت على مرحلتين :

الأولى : مباغتة أهل عنيزة لعساكر خورشيد في داخل البلدة ، في السوق ، وقتل الكثير من هؤلاء العساكر ، وتتبع وطرد الباقين منهم خارج أسوار البلدة ، والذي سيشار إليه بوقعة السوق .

الثانية : قيام خورشيد باشا بحصار عنيزة ، وإعلان الحرب عليها وهي نتيجة طبيعية بعد البطش بجنوده، وتجمع المصادر على أن الشرارة الأولى للقتال شبّت في وسط عنيزة وبالتحديد في السوق ، حيث كان بعض العسكر يتسوقون ، ويفهم من وصف "خورشيد" للواقعة ما يلي :

---

[3] إبراهيم بن صالح بن عيسى ،تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص 163-164 .

[4] عبد الله بن محمد البسام ،تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ،ورقة 133.

[5] تقرير خورشيد في الوثيقة السابقة

[1] ابن بشر،المصدر السابق،ص164.

1- مكان الوقعة ، هو السوق .
2- أن القتال خفيف ، والوقعة بسيطة .
3- أعداد القتلى من كلا الطرفين قليليه ، وتوحي بالتقارب .
4- تعقب وطرد بقية الجند من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم .[2]

ويذكر " الفاخري" عن هذه الوقعة بإيجاز :-" حصل منافرة وجرت بينهم وقعة من غير قصد قتل فيها مقتلة من العسكر نحو تسعين "[1] ورواية ابن عيسى قريبة من رواية الفاخري حصل بين خورشيد وأهل عنيزة قتال من غير قصد ، وقتل من العسكر نحو تسعين
ومن أهل عنيزة عدة رجال ".[2]

كما يصف ابن بسام قتال السوق بكلمات قليلة فيقول : " فقام أهل عنيزة على من عندهم من العسكر فقتلوهم في وسط البلد... وقتل في هذه الفتنة من العسكر نحو تسعين رجلاً "[3] ويمكن أن نستنتج مما أورده هؤلاء المؤرخون ما يلي :

1- ضراوة وقعة السوق هذه وشدتها على جند خورشيد .
2- هرب باقي العسكر من عنيزة بعد تعقبهم وطردهم .
3- عدد القتلى من جند خورشيد كبير ، تسعون قتيلاً.
4- عدد القتلى من عنيزة لم يذكر سوى ابن عيسى " عدة رجال " وهذا يدل على أن العدد قليل .
5- إن مكان الوقعة وسط البلد في السوق .

والمدقق المتأمل يلاحظ هنا أن رواية هؤلاء المؤرخين تتفق مع رواية خورشيد في ثلاثة أمور ، وتختلف عنها في أمرين ، أما أوجه الاتفاق ، فهي :

---

[2] محمد الثنيان ، انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا ،ص 249-250.
[1] محمد بن عمر الفاخري ، الأخبار النجدية ،ص 174.
[2] إبراهيم بن صالح بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد،ص 163.
[3] عبد الله البسام،المرجع السابق، الورقات 133 ، 134

1- في عدد القتلى من عنيزة ، حيث اتفقت رواية ابن عيسى مع ما ذكره خورشيد .

2- تعقب وطرد بقية العسكر إلى خارج البلدة وغلق الأبواب .

3- مكان الوقعة وهو السوق .

وأوجه الاختلاف :

1- الاختلاف في وصف الوقعة ، ومدى ضراوتها ، أو بساطتها .

2- عدد القتلى من جند خورشيد .

إنّ تقرير خورشيد عن قتال السوق يعطي انطباعاً ببساطة وقلة الخسائر تأمل قوله :- (شرع العراك ... فمازالوا يتبارزون بالسيوف والغدارات ، حتى هلك من الفريقين بضعة رجال) فبضعة رجال من القتلى نتيجة معقولة لوقعة بسيطة ، لا تعدو أن تكون عراكاً ، ومبارزة بالسيوف والغدارات ولا يتوقع المرء غير هذا .[1] ولكن خورشيد بعد روايته المبهمة هذه عن الخسائر ، يستطرد قائلاً " ثم طرد أهل البلد باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها " وهنا تختلف الصورة ، فطرد بقية العسكر وتعقبهم وإخراجهم من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم ، نتيجة لا تتناسب مع قتال بسيط بالإضافة إلى هذا التناقض ، في رواية خورشيد نفسها ، تناقضها ، فيما يتعلق بعدد قتلى جنده ، لرواية المؤرخين النجديين المعاصرين ، أمثال ابن بشر والفاخري في جعل قتلى العسكر تسعين قتيلاً ، وعندما نجد أنفسنا أمام هذا الاختلاف فلا يسع المرء إلا أن يتحقق في الأمر ملياً بغية الوصول إلى الحقيقة ، وهنا يتوجب العودة إلى الوثيقة مرة أخرى . ففي المراحل الأخرى من الحرب ، كانت طريقة ذكره للقتلى في الوقعة بشكل يوحي بقلة عددهم ، وربما بتساويهما لدى الطرفين ، مع ما قاله المؤرخون النجديون عنها ، مؤشرا" على أن الهزيمة في جيشه هذه المرة ثقيلة والقتلى كثيرون . وهذا يتناسب ويتمشى مع عبارته " ثم طرد الأهلون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا الأبواب

[1] محمد الثنيان ، انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا، ص 247-248.

" فهذه العبارة بحد ذاتها تدل على هزيمة جند خورشيد هزيمة ساحقة ، تلاها تعقب وطرد لمن لم يقتل منهم ، ولو أن الأمر لم يتعد ، كما قال خورشيد ، عدة رجال من الفريقين لأصبحت نتيجة الوقعة متكافئة ، ولما لاذ جنده بالفرار ، وأغلقت دونهم الأبواب . وقولنا هذا ينسجم مع رواية المؤرخين النجديين ، كرواية ابن بشر ، وابن عيسى ، وابن بسام . وهنا تبرز نقطة جديدة بالنقاش وهي إجماع هؤلاء المؤرخين على ضخامة الخسائر في جند خورشيد ، والذي على ما يبدو حاول إخفاءه ، وإجماعهم أيضاً بما فيهم خورشيد ، على ضآلة عدد خسائر عنيزة في هذه الوقعة ، فما السر في ذلك ؟ وهو قتال ضار كما صوره ابن بشر يتوقع أن تكون خسائره كبيرة في كلا الجانبين .[1]

وعلى الأرجح أن وقعة السوق كانت عبارة عن هجوم كاسح من قبل أهل عنيزة على جند خورشيد ، الذين فوجئوا وأُخذوا على غرة ، وبشكل مباغت ، في قتال لم يستعدوا له أصلاً وفي بلدة يجهلون اتجاهاتها ، وطرقاتها ومداخلها ومخارجها . وأصبحوا في موقف المدافع الهارب أمام خصم مهاجم تساعده الظروف المحيطة ، مما جعلهم في موقف صعب أمام غليان أهل البلدة الذين صعقوا لنبأ قتل أميرهم غير المتوقع ، والذي أغضبهم وحول عنيزة إلى طوفان وثورة عارمة ، عصفت بهؤلاء الجند ، وأبادت جلهم انتقاماً للأمير ، وتشفياً من هذا العدو . وهذا التعليل قد يفسر لنا لماذا كان عدد القتلى الذين سقطوا من أهل عنيزة في وقعة السوق قليلاً مع شدتها إلى درجة أن المؤرخين النجديين لم يعيروه انتباهاً، عدا ابن عيسى الذي اتفقت روايته مع ما ذكره خورشيد . ونتيجة طبيعية لوقعة السوق هذه ، والتي كانت وطأتها شديدة على جنده ، طوق خورشيد عنيزة وحاصرها . والمؤرخون النجديون لا يذكرون هذا الحصار ولا يوردون عنه شيئاً ، عدا ابن بشر وابن بسام ،وباستثناء ما نص عليه ابن بشر صراحة من حصار لقصر الضبط ، خارج عنيزة ، فحتى هذان المؤرخان لا يشيران بشكل مباشر إلى أي حصار لعنيزة

---

[1] محمد الثنيان ، المرجع نفسه، ص 249-250

من قبل هذه القوات ، ومن خلال روايتهما لا يُفهم أن خورشيد حاصر عنيزة فعلاً ، إلا استنتاجاً من السياق أو استنباطاً لبعض العبارات كما في "عنوان المجد " إذ يقول ابن بشر : وهو في معرض حديثة عن أمير عنيزة " يحي السليم" وكيفية تسلله وهربه من معسكر خورشيد إلى بلدته ، بعد علمه باندلا ع القتال فيه ، يقول : " وهرب إلى البلد ... ودخل بلده ... ثم نهضت العساكر على من كان لهم مهام خارج المدينه [1] ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام)[2]

فابن بشر هنا ، لم ينص على حصار ما بشكل مباشر وصريح ، سوى حصار قصر الضبط . ولكن روايته هذه أو عباراته ، توحي أن هناك حالتين : حالة داخل عنيزة ، وحالة خارجها ، فالعسكر الهاربون من عنيزة يلاقون أميرها مقبلاً ، وهو في شدة الركض ، ويحاولون إطلاق النار عليه ، ولكنه "دخل بلده " . وهذه إشارة من ابن بشر إلى أن الخطر زال عنه ، وأنه بلغ مأمنه بدخوله بلده التي هرب منها الجند مطروداً . وأوصدت بواباتها بدليل أن جند خورشيد في المعسكر ، الذين وصلهم الخبر بما جرى على زملائهم داخل البلدة ، وثار غضبهم ، ولم يجدوا أمامهم سوى من هو خارج هذه البوابات والأسوار ، ففتكوا بهم ثم نهضت العساكر على الحشاشين والحطابين في من كان خارج البلد فقتلوهم " وقول ابن بشر بعد ذلك : ثم ثار الحرب ...إلخ إشارة واضحة للحصار .

-وابن بسام يقول : " وهرب الأمير يحيى إلى البلد فدخلها ولما علم العسكر الذين خارج البلد من أهل عنيزة فقتلوهم "[3] وما قيل عن رواية ابن بشر ينطبق على رواية ابن بسام هذه . ومن هنا يتضح أن ذكر الحصار لم يرد صراحة في روايتي هذين المؤرخين ، وإنما يفهم ضمناً وعلى عكس هؤلاء المؤرخين تعطى

---

[1] الحشاحيش ، و الحطاطيب ، والرعاة الأغنام وغيرهم

[2] ابن بشر،عنوان المجد،164/2

[3] البسام ، تحفة المشتاق ، 133,134

الوثيقة التركية –كما سيأتي – وصفاً واضحاً ومفصلاً لهذا الحصار كما ورد في تقرير خورشيد باشا نفسه)[4].والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو :- كيف بدأ الحصار ؟

بعد هروب بقية جند خورشيد الفارين والناجين من وقعة السوق ، إلى خارج البلدة ، وتمكن الأمير يحيى من التسلل خارج معسكر خورشيد ، متبعاً الحيطة والحذر إذ ترك عباءته موهماً خورشيد أن الأمر لا يتعدى لحظات ويعود ، ولكنه لم يعد إليه بل إلى عنيزة التي دخلها وقد أخذ مقاتلوها والمدافعون عنها ، من الرماة وغيرهم ، أماكنهم في أبراجها وحصونها توقعاً للخطر المرتقب . ويقول خورشيد عن ذلك التأهب :-" ثم طرد الأهلون باقي العساكر من البلدة وأغلقوا أبوابها ، وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ، ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة".[1]

هذا فيما يتعلق بعنيزة واستعدادها لهذا الحصار . أما فيما يتعلق بالطرف الآخر ، جيش خورشيد فكما يستقرأ من الوثيقة التركية قد أطبق الحصار على عنيزة من جميع الجهات ، وبشكل محكم طبقاً لرواية خورشيد ، وإن شاب هذا الإحكام وبدا عليه بعض الخلل ، والذي سيناقش في أسطر قادمة . وخورشيد يعطى وصفاً مفصلاً لحصار جيشه لعنيزة إذ يقول " فبادرنا من فورنا بالجهادية ، فحملت سلاحها وبفرسان حسن أغا رئيس الأدلاء ، وبرجالة بكر أغا ، رئيس الرجالين ، فانضموا جميعاً تحت اللواء ، ورحنا بادئ الأمر إلى البروج التي في جوف البساتين الغربية إلى البلدة ، التي استولينا على عدة بروج منها أجلينا عنها الذين كانوا متحصنين فيها ، وشغلنا كلاً منها بجنود من الرجالة ، يعون بحمايته ، ثم خبأنا بقية الرجال بين النخيل ، عبأنا أورطة ، ومدفعاً في المحل الذي يقال إنه " باطن " الواقع في شمال البلدة ، وأدخلنا مدفعاً آخر ، مع أربعة البلوكات الجهادية في

---

[4] محمد الثنيان ، انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا ، ص 249-250.

[1] تقرير خورشيد في الوثيقة السابقة.

القصر المسمى قصر الصفا المواجه لباب عنيزة الأصلي ، وأقمنا مدفعاً ثالثاً ، ونحو مائة وخمسين فارساً في النخيل التي عن يمين القصر المذكور ، ثم حصنا جوانب البلدة ، بما بقي من الخيل ، ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق ، من الداخل لم نجد بُداً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث نواح ، واستمر الضرب نهاراً وليلاً ، منذ ذلك اليوم الذي هو يوم الثلاثاء حتى اليوم التالي يوم الأربعاء ، وكانوا يحاولون أحياناً الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج خارج انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعجلوا إليه وقتلوه[1].

ونظراً لأهمية الدور الذي تلعبه الأبراج والحصون في مثل هذه الحرب فجيش خورشيد يسارع إلى احتلال بعض منها " ورحنا بادئ الأمر على البروج ، التي في جوف البساتين الغربية ، إلى البلدة التي استولينا على عدة بروج منها ". ويتضح أن هذا الاستيلاء قد تم في الساعات الأولى من الحصار . ولا يذكر خورشيد انه استولى على أبراج أخرى غير هذه . وتحت الأبراج هذه ، في البساتين الواقعة إلى الغرب من عنيزة نشر أفراد فرقته " الرجّالة" بين النخيل وفي "الباطن" ، ويقصد " البويطن "[2] وضع مدفعاً وعبأ أورطة . أما في قصر الصفاء المواجه لبوابة عنيزة الرئيسية ، فقد وضع مدفعاً مع " البلوكات الجهادية الأربعة " . وعلى يمين قصر الصفا هذا ، وضع مدفعاً ثالثاً ونحو مائة وخمسين فارساً منتشرين بين النخيل . وحاصر بقية جهات البلدة الأخرى ، بما تبقى لديه من فرسان. [3]وتبدو الملاحظة هنا جديرة بالذكر ألا وهى إشارة " خورشيد باشا" إلى رماة البلد وإلى أسوارها وأبراجها أكثر من مرة " وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة ".

---

[1] تقرير خورشيد. وانظر، محمد الثنيان ، ، المرجع السابق ، ص 249-250.

[2] البويطن كان في الماضي نخيل وبساتين مزدهرة ، ويقع إلى الجنوب الغربي لمدينة عنيزة ، وكان يسكنه في السابق العفالق من قحطان والذين ارتحلوا منه وعمروا بلدة الخبراء، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية / العبودي ص 635 دار اليمامة الطبعة الأولى (1399هـ / 1979م)

[3] محمد الثنيان ، المرجع السابق ، ص 249-250.

وأشار أيضاً عند تعليله لمواصلة ضرب المدافع للبلدة دون انقطاع " ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق ". وأشار مرة ثالثة إلى الأبراج والأسوار بقوله :-" وتهدمت البروج والأسوار التي اعتزوا بها ، فإذا هم يائسون من كل عاصم ". وكما هو معروف فإن هذه الأبراج والأسوار تحيط بمدن نجد وقراها من جميع الجهات ، والذي ذكره خورشيد نفسه فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة " . وإذا عرف من خلال التقرير " تقرير خورشيد " ، أنه احتل هذه الأبراج" التى استولينا على عدة بروج منها " ، والتي تطل على منطقة ليست حساسة وبعيدة عن البوابة الرئيسة وقلب معترك القتال ، اتضح أن جميع أبراج البلدة الأخرى وسورها تحت سيطرة محاربي البلدة ورماتها . ويبدوا أن هؤلاء الرماة الكامنين بهذه الأبراج والأسوار قد أدّوا دوراً مهماً في الحرب وفي الدفاع عن عنيزة وإلحاق الضرر بالجيش المحاصر ، ولا أدل على هذا من قول خورشيد " وتهدمت البروج والأسوار التي اعتزوا بها " . وهذه العبارة وبما انطوت عليه ، هي إثبات للدور المهم والفعال الذي أدته هذه الأبراج والأسوار ، ومن كمن بها من المقاتلين الرماة . ولولا متانة هذه الدفاعات وقوتها لما اعتز بها أهل عنيزة كما قال خورشيد . وهناك مؤشراً آخر يؤكد على دور الرماة في أنهم لم يكتفوا بمجرد الدفاع عن البلدة ، بل نالوا من الجيش المحاصر " ولما رأينا أهل البلدة منهمكين في إطلاق البنادق من الداخل لم نجد بُداً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث نواحى واستمر الضرب نهاراً وليلاً[1].

وعبارة خورشيد هذه ، تحتوي على بعض التناقض فهو يطلق مدفعه على البلدة من ثلاث نواح ، ويضرب بشكل متواصل نهاراً وليلاً ، رداً على رماة عنيزة المنهمكين في إطلاق البنادق " وهذا شيء طبيعي ولكن تبريره لهذا القصف العنيف الكثيف من مدافعه والمتواصل أنه ، لمجرد إخافتهم " لم نجد بداً من تخويفهم " أمر مناقض . فمن الممكن أن يكون التخويف لساعة أو ساعتين أو

[1] محمد الثنيان، المرجع السابق ، ص 249-250.

ثلاث ، أو لعدد من الساعات ، أما أن يكون الضرب مكثفاً ومتواصلاً نهاراً وليلاً طوال مدة الحصار ، فلا يتوقع المرء إلا أن تكون حرباً لحرب مضادة قوية ، ويبدو أن مما زاد من دور الرماة قوة اتخاذهم زمام المبادرة ، إذ إن الحالة بعد وقعة السوق لا تتطلب غير ذلك . فمقاتلو البلدة ورماتها ، في تعقبهم للجند الناجي والفار ، انطلقوا بنفس السرعة إلى الأبراج والأسوار ، وبنفس المباغتة صوبوا بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة ويستطرد "ولما رأينا أهل البلدة منهمكين في إطلاق البنادق ...." ويقول خورشيد " وكانوا يحاولون أحياناً الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج منهم خارج ، انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعجعلوا إليه ؟ وقتلوه ، .. وهكذا أسفرت .. عن مائتي هامة قتل أصحابها عند خروجهم "[1]. و الفرسان القائمون في النخيل ، حسب منطوق الوثيقة ، هم فرسان حسن أغا وعددهم مائة وخمسون فارساً ، كانوا منتشرين بين النخيل التي عن يمين قصر الصفا ، المواجه لبوابة عنيزة الرئيسية ، شمال البلدة . ويبدو أن المهاجمين الخارجين من البلدة ، الذين أشار إليهم ، يبدو أنهم من فرسان عنيزة وخيالتها وبعض المشاة.مهاجمة الخصم على هذه الحالة تتطلب السرعة والخفة ، وخير من يؤدي هذه المهمة هم الفرسان ومن على شاكلتهم. ويتوقع أن يكون خروجهم من البوابة الرئيسية المقابلة لقصر الصفا الكامن عن يمينه فرسان حسن أغا الذين نازلهم هؤلاء . ومجرد اعتراف " خورشيد باشا " بأن مقاتلين خرجوا من عنيزة وهاجموا جيشه دليل على وجود ثغرات وخلل في حصاره إذ تمكن هؤلاء من اختراق نقاطه وهي المنطقة المحيطة ببوابة عنيزة الرئيسية والمواجهة لها . وكلام خورشيد هنا يشير إلى حقيقة ربما أراد أن يتحاشى ذكرها ، وهى أنه في أثناء الحصار كان هناك مناجزات من قبل فرسان عنيزة ورجالها لجيش خورشيد المعسكر خارج البلدة ، يقابلها تصد معاكس من قبل فرسان الحملة . وهكذا يبدو واضحاً للعيان أن

---

[1] تقرير خورشيد في الوثيقة السابقة

قتالاً بين الفرسان وغيرهم جرى خارج أسوار البلدة ، ولكن "خورشيد باشا " يروي هذا القتال من طرف واحد ، إذ يقول بأن فرسانه عجلوا إلى كل خارج مهاجم وقتلوه . وهنا يحسن مناقشة هذه الرواية " عجلوا إليه وقتلوه "هكذا وكأنه أعزل بلا سلاح ، ونسي " خورشيد" أن حاضرة نجد وباديتها من أمهر أهل الجزيرة في ركوب الخيل وفى الفروسية ولهم باع في حرب المشاة وما شابهها.[1] ويفهم من روايته أن فرسانه أو بالأحرى فرسان حسن أغا الذين كانوا منتشرين بين النخيل ، كانوا يباغتون المهاجمين ويعجلون إلى قتالهم دون أن يفطن هؤلاء إلى وجودهم ، والممعن يدرك أن خورشيد في هذه المرة فاته مهمة الأبراج وما تؤديه ، بجانب وظائفها الأخرى من مراقبة دقيقة ومسح شامل. للمنطقة المحيطة خارج البلدة ، وهي لا يمكن أن تغفل عن وجود مثل هؤلاء الفرسان وبذلك يأخذ المهاجمون من عنيزة حذرهم وأهبتهم لهم [2]

ومن ملامح هذه الصورة ، لا يتوقع المرء إلا أن يكون ما جرى خارج الأسواق قتالاً ، أو مناجزات ، قد تكون متكافئة ، والخسائر فيها ليست على طرف واحد كما صورها خورشيد . وإذا صح الرقم الذي ذكره عن عدد قتلى البلدة ، فالقتال كثيف والمعركة دامية ، إذ يتوقع أن خسائر جيش خورشيد تقارب هذا الرقم زيادة أو نقصاناً ، إلا أن يكون المهاجمون مسلوبي الإرادة والقدرة ، وتنقصهم الخبرة وتحصدهم فرسان حسن أغا كما أراد أن يصورهم خورشيد .

ولكن فيما يبدو الحقيقة ليست كذلك ، فمع أهمية هذا القتال إلا أن نتيجة كهذه أي مائتي قتيل ومن طرف واحد فقط ، ربما فاقت حجمه كما بدت غريبة. ورقم خورشيد هذا وإن بدا مبالغاً فيه إلا أنه قد يصدق ، ولكنه على فئة

---

[1] لوريمر ج.ج، دليل الخليج (القسم الجغرافي) ، جـ5 ،ترجمة قسم الترجمة ، مكتب أمير دولة قطر (الدوحة :مطابع على بن علي ، د.ت) ، ص 1855، وانظر ، عبد الله الصالح العثيمين ،بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ص 227 (الرياض : 1404هـ/1984م)وانظر، منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية ،(عهد عبدالله بن سعود ونهاية الدولة السعودية الأولى فترة الضياع) ص 84.

[2] محمد الثنيان ،المرجع السابق ،ص257-258

أخرى غير الخارجين لغرض الهجوم على جيش خورشيد ، على أناس طبيعة أعمالهم تتطلب أن يكونوا خارج البلدة معظم الوقت ، لسوء حظهم ، كانوا كذلك عند قيام الفتنة هذه ، قال بن بشر : " ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب في من كان خارج البلد فقاتلوهم ، وحصدوا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة وقتلوا أهله كلهم وهم نحو "خمسين " رجلاً . فالقتل وقع على من كان أصلاً خارج أسوار عنيزة لظرفه الخاص ، لا على من خرج بعد ذلك لغرض المناجزة والهجوم . وهنا يكمن الفرق ، إذ أن جند المعسكر ، عندما علموا بوقعة السوق ، لم يجدوا أمامهم سوى " الحشاحيش والحطاطيب " ومن على شاكلتهم ، فقتلوا بهم . وهذا يفسر ضخامة العدد الذي ذكره خورشيد ، والذي يمثل هؤلاء حله ، هذا مع حذف قصر الضبط وقتلاه الخمسين . [1]

4- عدد القتلى :

وإذا توقفنا هنا لحظات نجد أن هناك سؤالاً يطرح نفسه ألا وهو ما عدد القتلى الذين أسفر عنهم هذا الحصار ؟ ذكر خورشيد باشا خسائره وخسائر عنيزة قائلاً " وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت نار الحرب فيه يومين وليلة ، عن مائتي هامة ، قُتل أصحابها عند خروجهم ، وعن فتك المدافع بما ينيف على مائتي قتيل أو جريح من بين القابعين في الداخل . هكذا تقرير خورشيد السابق عرضه ، عن خسائر جيشه قال : " وبلغ عدد الذين توفوا في هذه المعركة من جنودنا ، اثنتي عشر رجلاً بينهم جهادي ، وفارس ، وراجل ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثمانية عشر مجروحاً ، كانت جملة المصابين منا ثلاثين على أن جراح رجالنا لا تنذر بسوء ، وعما قريب تلتئم ويبرأ أصحابها ".إذن وطبقاً لهذه الرواية ، فحصيلة خسائر جيش خورشيد فقط اثنا عشر قتيلاً، وثمانية عشر جريحاً، يقابلها من عنيزة ما يقارب الأربعمائة ، قتل مائتان منهم خارج الأسوار – أسوار البلدة–

[1] محمد الثنيان ،المرجع السابق،ص 258

وحصدت المدافع مائتين آخرين " من بين القابعين في الداخل" . ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون ، المعاصرون لهذه الحادثة ، عن عدد القتلى ؟

الفاخري يحصى خسائر عنيزة بنحو خمسين قتيلاً[1] وابن بشر يعيّن هؤلاء الخمسين ، بأنهم أهل قصر الضبط ، أو منزلة الضبط كما يصفها ابن بسام[2] وإذ عرفنا أن "منزلة" تعني : حيّ ، وأن الضبط حيّ معروف حتى الآن من أحياء عنيزة[3] من المتوقع أن يكون ضمن القتلى الخمسين هؤلاء عدد من المدنيين غير القادرين على حمل السلاح ، بالإضافة إلى ما ذكره ابن بشر ، من فتك العسكر بمن وجدوه خارج الأسوار من " الحشاشين والحطابين " . ومن هنا يتضح عدد مائتي قتيل ، الذي أشار إليه خورشيد ، بأنهم قتلوا خارج عنيزة ، يحوي إلى جانب المهاجمين الحقيقيين ، أعداد كثيرة ، إن لم يكن غالبهم ، من المدنيين الذين راحوا ضحية غضبة الجند ، إثر وقعة السوق ، حيث باغتوهم وهم خارج أسوار البلدة ، وإلى جانب هذا ، فمن بين مائتي قتيل وجريح " من بين القابعين في الداخل " أي داخل عنيزة ، وقد فتكت بهم المدافع ، يتوقع المرء أعداداً كبيرة من المدنيين العزّل ،قد تفوق أعداد قتلى الجيش المحارب ، لتحصّن هؤلاء ، وانكشاف أولئك . ويخلص خورشيد في تقريره إلى القول بأن أهل عنيزة " لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم محيصاً " ولكن قبل مناقشة هذه النتيجة ، يجدر هنا إلقاء الضوء على الأسباب التي أدت إلى هذه الحرب ، فخورشيد في تقريره يرجع السبب في اندلاعها إلى نزاع نشب بين أحد جنوده الأتراك وبين أحد الأعراب في السوق ،وهذه الحادثة بلا شك تعتبر سبباً كافياً لنشوب الحرب نظراً لحساسية الموقف وتوتره ، مع الشعور المعادي لأولئك الجند ، مما جعل الردّ سريعاً وحازماً على ذلك الجندي المعتدي ، وكانت فرصة سانحة أهتبلها أهل البلدة للنيل

---

[1] الفاخري ، الأخبار النجدية، 174 .

[2] البسام ، تحفة المشتاق، ورقة 134.

[3] إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ص ،232 .

من ذلك العدو والإيقاع به . ولكن المصادر المحلية في المقابل تورد سبباً آخر يختلف عما أورده خورشيد هنا ،فكل من الفاخري ، وابن عيسى ، سبب نشوب القتال إلى عامل الخطأ غير المقصود ، وعدم التأكد وروايتاهما متماثلتان تقريباً ، فالفاخري يقول: " وجرت بينهم واقعة من غير قصد "[1]ويقول ابن عيسى " حصل بينه " خورشيد " وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد"[2] ويبدو أن ابن عيسى نقل روايته عن رواية الفاخري

ورواية هذين المؤرخين مختصرة مبهمة ، لا يفهم منها إلا أن هذه الحر ب وقعت عن طريق الخطأ غير المقصود ، والذي وضحته وأوردته مفصلاً روايتا كل من ابن بشر ، وابن بسام السابقة الذكر في هذا الفصل . وعند دراسة رواية خورشيد ، ورواية المؤرخين النجديين ، فيما يتعلق بالسبب المباشر لاندلا ع الحرب ،يتضح أنه مع الاختلاف الجذري بينهما ، إلا أنه لا ينفي أحدهما ورود الآخر ، وإمكانية حدوثه .فأحد السببين قد يكون كافياً لقيام مثل تلك الحرب ووقوع كليهما معاً أمر ممكن ، لا يوجد ما ينفيه . غير أن المتمعن بهذه الحادثة وملابساتها ، لا يمكنه إلا أن يرجح السبب الذي أورده المؤرخان ، ابن بشر ، وابن بسام ،وذلك انطلاقاً من ضراوة وقعة السوق وشدتها ، ولم يتوقع لها أن تكون كذلك إلا بحادث جلل ،وهو الالتباس بمقتل الأمير ، وردّ الفعل العنيف والمفاجئ ضد جند خورشيد . هذا الالتباس الذي تم تأييده بالرواية المختصرة للمؤرخين النجديين الآخرين ، كالفاخري ، وابن عيسى اللذين أشار إليه بوقعة أو حرب من غير قصد ، لقيام مثل ذلك الغليان العارم في سوق عنيزة ، قد فصلّه ابن بشر ، والمح إليه خورشيد .وعندما نمعن النظر في رواية كل من ابن بشر وابن بسام ، تستوقفنا ملاحظتان عابرتان هما في الوقت نفسه على جانب كبير من الأهمية ، وهما[1]

[1] الفاخري، الأخبار النجدية، 174.

[2] ابن عيسى،تاريخ بعض الحوادث، ص 163.

[1] محمد الثنيان، المرجع السابق،1/ 260 - 261

الأولى : توقيت اندلاع قتال وقعة السوق ، مع وجود الأمير " يحيى " لدى خورشيد في معسكره يفاوضه في أمر القتيلين ، والجند منتشرون في السوق لشراء بعض حاجاتهم ، وهذا التوقيت ليس من مصلحة خورشيد ولا عنيزة ، والطرفان ليس من مصلحتهما أن تشب الحرب في تلك الساعة بالذات . فهل يكون هناك طرف ثالث أراد لهذه الحرب أن تنشب ويكون من مصلحته ذلك ، هذا احتمال وارد ، لكن الجزم به دون دليل ملموس أمر غير ممكن ، إذ قد يكون الأمر كما روته وقصته هذه المصادر ليس إلا .

الثانية: اختلاف ابن بسام ، مع ابن بشر فيما يتعلق بمن علم بالقتال في البلدة ، وسمعه أولاً أهو خورشيد باشا أم الأمير يحيى ؟ فابن بسام ، كما مرّ ، يروي بأن يحيى هو الذي سمع بالقتال وشعر به (فسمع الأمير يحيى الصيحة في وسط البلد .. وهرب إلى البلد ودخلها) وهذا أقرب إلى تصور إمكانية تسلل الأمير بالخدعة هذه ، فلو كان خورشيد ، كما قال بن بشر ، هو الذي أحس بالقتال أو سمعه لما فرط بأمير مثل (يحيى) بين يديه ، فعلى الأقل كان سيحتفظ به حتى يتأكد له ما الأمر . [2]

والسبب الذي أورده ابن بشر ، وابن بسام للحروب ، هو بلا شك السبب المباشر لقيامها ، وبالتأكيد هو القشة التي قصمت ظهر البعير ، والشرارة التي أضرمت النار ، ولكنه ليس السبب كله . فبالإضافة إلى ما ذكر من سبب يعتقد حتى الآن أنه السبب المباشر ، فهناك بعض الدلائل والمؤشرات التي توحي بأن هذه الحرب ، مع كونها حدثت دون قصد كما تروي بعض المصادر ، أي عن طريق الخطأ غير المقصود والتسرع ، إلا أنه كانت نتيجة حتمية لتاريخ من العداء والصراع الطويل بين عنيزة وأميرها " يحيى السليم " من ناحية ، وحملات محمد علي باشا من ناحية أخرى . ويستنتج من هذا مما ألمح إليه خورشيد وأيدته المصادر النجدية. يقول خورشيد : -(وإنما نزلنا بعد مغادرة الشبيبة المارة الذكر،

---

[2] محمد الثنيان، المرجع السابق 1/261-262

في الغدير ، و لم ننزل في عنيزة لأننا بوصولنا إلى البكيرية ، والرويضة ، والشبيبة ، جاءنا عبد العزيز ..[1]، ويستنتج من هذا النص عدة أمور من أهمها :

أولاً : يحتوي على شيء من التهديد والوعيد لأهل البلد وأميرهم وأن خورشيد قد يكون وضع في الحسبان محاربة عنيزة لو اقتضى الأمر . وحسب روايته لم يفك عزمه هذا سوى ركونهم للسلم الذي في مقابله منحهم العفو والأمان. ولكن بالرغم من هذا ، فالنص يشير إلى محاولة خورشيد الجادة في التريث ومحاولة تجنب أي حرب مع هذه البلدة " حتى تتضح لنا كافة الأمور ، فنفعل ما يقتضى به حسن التدبير " . ثانياً: كان يوجد عداء شديد بين الطرفين وهذا أمر طبيعي لا يتوقع غيره ، إذ أن أهالي عنيزة وأميرها سبق أن قاموا بأعمال حربية ضد جيوش محمد علي السابقة لحملة خورشيد . مثلهم في ذلك مثل أي بلد نجدي آخر ، ولكن يبدو أن هذا العداء كان عداء متميزا ، وليس أدل على هذا من أن أمير عنيزة يحيى وبعض كبارها " إلا يحيى شيخ عنيزة وبعض الأهلين " هم الوحيدون من بين رؤساء القصيم الآخرين الذين لم يخرجوا لخورشيد ولم يقدموا للسلام عليه في أول الأمر ، بل اكتفى الأمير بإيفاد أخيه نيابة عنه ، طبقاً لرواية خورشيد هذه . وخورشيد هنا يعلل سبب عدم قدوم أمير عنيزة ، وبعض كبارها بالخوف[1] ولو كان هذا هو السبب فعلاً ، و كان الأمير خائفاً من مقابلة خورشيد ، فإن هذا الخوف ينطبق أيضاً على أخي الأمير الموفد . وليس من المعقول أبداً أن يعرّض الأمير يحيى أخاه لمثل هذا الخطر ، الذي قد يتهدده أو يقع عليه ، وعلى كلٍّ فتعليل خورشيد هذا ضعيف ، وقد يكون مرفوضاً ، لأنه وصف به أهل جنوب

---

[1] هو عبد العزيز بن محمد ابن عبد الله أبو عليان ، أمير مدينة بريدة تولى إمارتها في عام 1243هـ بعد أن عزل الأمام تركي بن عبد الله أميرها السابق محمد آل على بن عرفج وجعل الأمير عبد العزيز مكانه . وقد استمت إمارته ، عدا الفترات البسيطة التي عزل فيها عن الإمارة ، حتى عام 1277هـ . وكان على وئام واتفاق تام مع أمير عنيزة يحيى السليم .انظر ابن عيسى ، تارخ بعض الحوادث ، ص 157 ، 165 ، 166 ، 174 ؛وانظر ابن بشر، عنوان المجد 64/2، 188 – 191 ؛وانظر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم) القسم الثاني ص 5329 – 547.

[1] محمد الثنيان، المرجع السابق ،261/1-262

نجد عندما لم يقدموا عليه ، ولم يكترثوا به ، حين قدم إلى العارض[2]. وقد كانوا أقوياء ، منتصرين تماماً على جيش إسماعيل وخالد . ولربما كان الأمير يحيى هو الآخر غير مكترث كثيراً بمقدم ذلك القائد ، وقد يكون مرده ثقة بالنفس ، أو اعتداداً بقوة المدينة . وأن خورشيد لم يكن أبداً مطمئناً لهذه البلدة بالذات ، وعدم قدوم الأمير عليه بلا شك زاد من مخاوفه وشكوكه ، مما دفعه إلى تجاوزها وتجنبها . وأيضا يشير خورشيد إلى أمور مخالفة اقترفها أهل عنيزة وأميرهم من قبل " فإنهم خافوا تبعة ما اقترفوه قبل من مخالفة ". ولهجة خورشيد توحي بأنها أمور حربية ، وهو لا يذكر شيئاً عنها . ويحسن هنا محاولة لإلمام بهذه الأمور ، فعندما نستقرى المصادر وما دونته من أحداث سابقة لهذه الحرب ، سواء القريبة منها أو البعيدة بعض الشيء عنها ، وهي تتعلق بعنيزة في فترة أميرها يحيى السليم ،أو ما قبله بقليل ومقاومتها لجيوش محمد علي ، والدور الذي أدته في هذا الصدد ، نجد هذه المصادر تسطر بعض الأحداث التي توضح لنا جانباً من هذا الصراع ، والذي يمثل الجذور العميقة لهذه الحرب ، التي لا تكتمل صورتها بدون الإشارة إليها والإلمام بها ومعرفتها [3] إن طرد " حسن بك " بطريقة حازمة قوية ،وقتل سبعين من رجاله ليؤكد بسالة هذه البلدة ورجالها ، وعلى رأسهم أميرهم يحيى السليم . فهل ستسلم عنيزة لخورشيد بعد حصار يومين وليلة ، بعدما فعلته بحسن بك الذي عرف بشراسته؟

قتل يحيى السليم عبد الله الجمعي في مجلس عنيزة ، وتولى الإمارة مكانه ، وكان عبد الله هذا قد عينه " إبراهيم باشا" أميراً على عنيزة . لم يغفل خورشيد الدور الذي أدته عنيزة في استعدادات الإمام فيصل بالقصيم ، للتصدي لحملة إسماعيل بك وخالد بن سعود ، فأدت دوراً مهماً في صد هذا الجيش مما يوحي بقوتها

---

[2] الوثيقة التركية رقم (163) حمراء ، محفظة (267) ، دار الوثائق القومية . عابدين ، مؤرخة في 29 جمادي الأولى 1255هـ (رسالة من خورشيد وتقرير عن أحوال نجد – البند الخامس)

[3] محمد الثنيان، المرجع السابق، 263/1.

الحربية والقيادية في هذا المجال . ربما قصد "خورشيد " شيئاً مما سبق من هذه الحوادث ، بما أسماه الأمور المخالفة ، وكلها أمور بالنسبة لخورشيد وحملته مخالفة (1)

وللسلمان عدة ملاحظات على تباين الروايات في سبب القتال وعدد القتلى ، وهي :

1- أن السبب الذي ذكره ابن بشر لنشوب القتال قد يكون أكثر قبولاً . فمن المرجح أن خورشيد في تقريره حاول أن يبرئ نفسه من أن يكون له يد في نشوب قتال بسبب سرقة عمانيتين له فاختلق هذا السبب أمام حكومته في القاهرة .
2- أن تقدير خورشيد لعدد القتلى غير مطابق للحقيقة فمن المرجح أنه يحاول زيادة عدد قتلى عدوه ،وتقليل عدد قتلاه في تقريره الذي سيرفعه إلى حكومته .
3- تدل الواقعة وتفصيلاتها في الروايتين معاً على أن أهالي المنطقة هناك لم يكن خضوعهم للحملات المصرية جبناً بقدر ما هو سير في الطريق الأسلم لهم ولمنطقتهم ، وعدم الدخول في حرب معها معروفه نتائجها لصالح عدوهم بعدده وعتاده .
4- دلت الوثيقة على ما تتمتع به منطقة القصيم عامة ومدينة (عنيزة) خاصة من حركة تجارية واسعة لم تنقطع حتى في ظروف مجيء الحملات المصرية وانعدام قيام سلطة مركزية وطنية[1]

ثانياً:- آثار ونتائج الحملة على عنيزة :

---

[1] محمد الثنيان، المرجع السابق، 264/1-266.

[1] السلمان ، معركة عنيزة ، ص627.

يؤكد ابن بشر أنه : – بعد أن ثارت الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام ، وقع الصلح بعدها بينهم ، فلبث "خورشيد " في عنيزة خمسة أشهر . إلى أن قال :– ثم إن " خورشيد" سعى في بناء قصر الصفا المعروف في " عنيزة" فبناه وجعل فيه عسكراً وذخيرة . فلما كان في آخر رجب رحل من " عنيزة" بعدده وعدته ، ومعه كثير من العساكر المصرية والشامية[2] وما قاله ابن عيسى لا يختلف كثيراً عن ابن بشر في هذا الخصوص[3] ومهما يكن من أمر فقد مكث " خورشيد" في عنيزة مدة طويلة ، تقدر بخمسة أشهر استطاع فيها جلوي بن تركي – أخو الإمام فيصل – من الهرب إلى أخيه فيصل في "الدّلم" بعد أن استأذن "خورشيد " في الذهاب إلى " بريدة" لبعض حاجاته ، فأذن له ، ومن هناك اتجه فوراً إلى أخيه في الدّلم ، ليطلعه على حقيقة الأمر ، وأن خورشيد باشا عازم على محاربته[4] وتتابعت الوفود على " خورشيد" في عنيزة تعلن ولائها وطاعتها له وكان من من هؤلاء وفد جبل شمَّر بزعامة أميره عبدالله بن على بن رشيد ، الذي جاء إلى خورشيد – بعد استيلائه على الإمارة من عيسى بن على – الأمير السابق – مقدماً له الطاعة ومبدياً كامل استعداده لمساعدة حملته . وقبل منه " خورشيد" ذلك وأمّره على إمارة حائل ، وكان ذا فائدة له في توفير العديد من الإبل وسائل نقل مهمة للحملة . يقول "ويندر" (Winder) بأن مشكلة الحصول على الإبل وسائل للنقل هي شغل المصريين الشاغل بالنسبة لغزو نجد[1]. ورجع عبد الله بن رشيد من عند "خورشيد" محملاً بالهدايا ، وضامناً إمارة حائل له ، لكن حدث أن تعرض لابن رشيد ومن معه قوه من أهل بريدة ، أرسلها أميرها عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان ، فنهبت ما معهم من أموال ، وقتلت منهم ستة رجال ، واستطاع عبد الله بن رشيد الهرب ، راجعاً إلى خورشيد في عنيزة الذي

---

[2] ابن بشر ، عنوان المجد، ص 101-103

[3] ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث، 163-164

[4] محفظة (262) وثيقة (218) .؛وانظر ابن بشر ، المصدر السابق ، 103/2 .

[1] windar ,Saudi Arabia in the nineteenth century, new york 1965.

كساه ، وأهداه مرة ثانية ، فرجع إلى بلاده . ويعتبر هذا أول تصادم مسلح بين اهل بريده وعبد الله بن رشيد ، تطور فيما بعد إلى نشوب معركة بين الطرفين هي معركة (بقعاء) في جمادي الأولى عام 1257هـ والتي انتصر فيها ابن رشيد على أهل القصيم .[2]

لقد بقى "خورشيد" في عنيزة طوال الأشهر الخمسة وهو يستقبل الوفود المختلفة من الحاضرة والبادية ، كما هيأ المدينة لكي تصبح قاعدة خلفية للجيوش المصرية في نجد ، واستغل خورشيد بقاء هذه الفترة الطويلة في " عنيزة " لإعادة بناء حصونها المخربة لتستقر فيها حاميته ، وبقى أثر هذه الحصون يحمل اسم " حصن خورشيد " إلى عهد قريب 1344/1925هـ)[3]

وهذا " الثنيان " يذكر نتيجة هذه الحرب قائلاً ، نخلص من تقرير خورشيد بأن أهل البلدة " لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم محيصاً[4] ، ولكن المؤرخين النجديين يقولون : ابن بشر " ثم وقع الصلح بينهم "[5]عبارة مجملة ومختصرة جداً ، ابن عيسى " :-" ثم إنه وقع الصلح بينهم وبينه "[6]نفس عبارة ابن بشر ، ونلاحظ ؟أن المؤرخين النجديين يستخدمون أساليب وعبارات متجانسة ومتشابهه مع بعضهم ، لوصف أحداث متماثلة . لكن الفاخري يقول "ثم تراجعوا على الكف وتركوا ما سبق وتبايعوا"[1] وهذه الرواية وعباراتها لا تحتاج إلى تفسير ، أو تعليق ، فهي دليل واضح على أن ذلك الصلح ، قد أبرم بين طرفين متكافئين في الموقف، على أرض المعركة ، لا بين منتصر ومنهزم .[2]

---

[2] السلمان ،معركة عنيزة، مجلة العرب ،ج 9/، ص 627-628

[3] السلمان ،معركة عنيزة، مجلة العرب، ص، 628.

[4] محمد الثنيان، المرجع السابق، 264/1-266

[5] ابن بشر، المصدر السابق، 164/2.

[6] ابن عيسى ، المصدر السابق ،ص 144.

[1] الفاخري ، المصدر السابق ، ص 174.

[2] الثنيان ، المرجع السابق، 264/1-266

بل نبعد بأكثر من هذا ، فرواية ابن بشر ، مع رواية الفاخري ، وروايات الآخرين الذين كتبوا وأرخوا لهذه الحرب ، تشير إلى شيء واحد هو رجحان كفة "عنيزة" ، حيث لا تشير إلى أي انتصار لجيش خورشيد ، ففحوى روايتهم انتصار البلدة ، والحالة هذه ، فقد يكون من الحصافة بمكان ، القول بأنه لم يكن هناك استسلام ، كما يروي خورشيد في تقريره ،ولم يتنازلوا عن شيء ، ولم يسلّموا بشيء ، والذي يدعم هذا ويرجحه ، بعض الحقائق التي استرعت ولفتت الانتباه ، سواء تلك التي وردت ضمن تقرير "خورشيد " ، أم التي أشار إليها بعض المؤرخين النجديين المعاصرين وغيرهم ، والتي يجدر التوقف عندها ودراستها رواية " خورشيد"حيث توجد بها معلومات تصل إلى حد التناقض ، لأنه في أسلوبه لذكر خسائره ،يوحي بالبحث عن حقيقة ضائعة بين السطور ، وتدعو إلى التوقف والشك في أن العدد الحقيقي ، قد يفوق ما ذكره أضعافاً . إذ أن هذه العبارات تحمل جانب التطمين لسيده ومرجعه ، فبضعة رجال ، واثني عشر قتيلاً ، وثمانية عشر جريحاً ، لا تتناسب مع نحو أربعمائة من الطرف الآخر . مع الأخذ في الاعتبار وقعة السوق وظروفها ، وما ذكره المؤرخون النجديّون خلافاً لهذا ، على أن الرقم الأخير يدل على المبالغة الشديدة فيه ، ويشمل أعداداً من المدنيين تفوق أعداد المحاربين ، وقتل المدنيين على فداحته وتأثيره ، إلا أنه لا يفت في عضد الجيش المحارب أو يضعفه . رفع خورشيد السريع والمباشر للحصار وقبوله الصلح حال استلام كتاب عنيزة يقول: " فلما جاء كتابهم بطلب الأمان ، ورفع عنهم الحصار ، بشرط أن يعاهدونا على امتثال كل أمر وأداء كل خدمة "[1] وإذا سلمنا بورود مثل هذا الكتاب إليه ، وهو أمر لم تؤيده المصادر الأخرى ، ولم تشر إليه ، فإن موافقته السريعة عليه ، توحي بأنه كان في موقف المتلهف لمثل هذا الكتاب [2].وفي المقابل لم يشترط سوى " امتثال كلّ أمر وأداء كل خدمة " وهذا أمر يدعو إلى

---

[1] تقرير خورشيد في الوثيقة السابقة .

[2] الثنيان ، المرجع السابق ، ص 267

الدهشة . فهذا هو الأمان الثاني الذي يعطيه خورشيد لـ "عنيزة" إذ سبق وأن أعطاهم أماناً في أول مقدمه ،حينما لم يقدم الأمير ووجهاء البلدة إليه ، غير أن الأمير المذكور يحيي ووجوه البلدة ، تداركوا ماسيحيق بهم آخر الأمر ، من ويل وشر ، فركبوا وجاءوا جميعاً يعدون خادمكم بالدخول في حظيرة الطاعة والانقياد ، وبإيفاد كل ما عسى أن يكلفوه ، من خدمة للحكومة ، وبذلك استجيب لهم ، فيما طلبوا من العفو والأمان "[3] وعبارات هذا الأمان تعد أشد لهجة وأقوى من الثاني ، الذي أعطى أثناء الحصار ،كما أن خورشيد توعّد وهدّد لمجرد أنه أمير البلدة أوفد أخاه نيابة عنه في أول الأمر ولم يقدم بنفسه ، ولو كان خورشيد في موقف القوة لما أعطاهم الأمان الثاني وقد نقضوا الأول ، وإن كانت الطاعة اسمية لتلك السلطة[4] ولم تشر أي مصادر إلى أي شروط حاول " خورشيد " أن يفرضها على عنيزة ، وأجمعت المصادر النجدية على أن خورشيد بعد

انتهاء الحرب ، ظل معسكراً خارج عنيزة مدة خمسة أشهر،[1] وتأييد ذلك ما أوردته بعض الوثائق التركية من تأريخ للأحداث والوقائع التي تلت ذلك[2]. والمتتبع لسير حملة خورشيد ، منذ مغادرتها للحناكية ، وحتى وصولها إلى عنيزة

---

[3] تقرير خورشد في الوثيقة السابقة.

[4] الوثيقة التركية رقم 163 ، حمراء ، محفظة 267 ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في 29 جمادى الأول 1255 هـ " رسالة من خورشيد ، وتقرير عن أحوال نجد "

[1] ابن بشر ،المصدر السابق ، ج2، ص 164،وانظر، إبراهيم بن عيسى ،المصدر السابق ، ص 163-164 ، وانظر، عبد الله بن محمد بن بسام ،المصدر السابق ورقة 134 ويقول الدكتور عبد الفتاح أبو علية " قرر محمد على تعزيز قواته المحاصرة في نجد ، فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة العدد عسكرت في بلدة الرس في القصيم ". ويبدو أن الأمر تشابه عليه ، وأن الحملات التي عسكرت فعلاً في الرس ، هي حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود ،والذي أُرسل " خورشيد" نجدة لهم ، عبد الفتاح أبو علية : الدولة السعودية الثانية(1256/1309هـ – 1840/1891م) ، ج 2 ، (الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ط4، (1394هـ -1974م) ص 47 ، انظر،بن بشر ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 142 ، عبد الله بن البسام محمد البسام ، مصدر سابق ، ص 132.نقلاً عن محمد الثنيان

[2] الوثيقة التركية رقم 220 ، محفظة 214 ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في 25 جمادى الأولى 1254هـ (بشأن فرار جلوي بن تركي) ، الوثيقة التركية رقم 6 ، محفظة 266 ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في رمضان 1254 هـ

يلاحظ أنها لم تقم في أي من الأماكن التي مرت بها ، إلا استراحة السفر الضرورية كيوم أو ليلة ، والذي قاله خورشيد[3]. وإنها كانت حثيثة السير مستعجلة ، حتى عند وصول هذه الحملة إلى مشارف القصيم جعلها " خورشيد " تسير متحدة مع بعضها ، وكان سبق أن قسمها إلى قسمين ، يسير أحدهما قبل الآخر تجنباً للتزاحم على موارد المياه في الطريق ، والذي لم يعد له حاجة لتوفر هذه المياه في القصيم[4] فلماذا هذه الإقامة الطويلة وبالذات بعد الحرب ؟قد تكون من قبيل الصدفة ، وهذا أمر وارد ، قد يكون خورشيد خطط مسبقاً لمثل هذه الإقامة ، وهذا غير وارد ، وقد تكون نتيجة لهذه الحرب ، وهو ما أشارت إليه الظروف والقرائن . فخورشيد لم يخطط لإقامة طويلة خارج عنيزة ، فتقريره لا يوحي بهذا ، بل أراد أن يتجنب هذه البلدة ويتجاوزها ، كما أن مهمته لا تحتمل ذلك ، فمن ضمن الأهداف الأساسية لحملته نجدة جيش إسماعيل بك ، وخالد بن سعود ، الذي تكبد هزيمة فادحة على أيدي قوات جنوب نجد ، مما جعله في حالة يرثى لها ،[1] ويدل تقرير "خورشيد " على ما كانت تتمتع به عنيزة من أهمية بالنسبة للحملات المصرية ، فهي مركز وقاعد ة عسكرية ، وهي تقع على طريق إمداد الحملة بالمؤن والذخيرة ، وأخيراً هي سوق لتزويد عساكر الحملة بما يحتاجونه أحياناً ، وسوق لهم لبيع ما زاد عن حاجتهم مما جلبوه معهم أو كسبوه أثناء مسيرهم[2].وعلى كل حال فقد انتهت الحرب بين الطرفين وقدمت "عنيزة "

---

[3] تقرير خورشيد في الوثيقة السابقة.

[4] تقرير خورشيد، كما أن هناك وثيقة تركية تثبت بان خورشيد كان مستعجلاً وأن مهمته لا تحتمل التأخير إلى درجة أنه أراد إرسال بعض الخيالة والفرسان إلى الرياض كنجدة لها –كما أرسل خطاب تهديد لفيصل بن تركي . وهو بهذا يسعى لكسب بعض الوقت قبل فوات الأوان . الوثيقة التركية رقم 218 ، محفظة 262 ، دار الوثائق لقومية ، عابدين ، مؤرخة في 5 ذي القعدة 1253هـ (حول إرسال كتاب تهديد إلى فيصل وإرسال خيالة إلى الرياض وأمور أخرى).

[1] وثيقة رقم 54 ، حمراء (المرفق العربي) ، محفظة 262 ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في 23 جمادي الأولى 1253 هـ

[2] وثيقة (208) زرقاء ،محفظة (264) عابدين

صورة مشرفة من صور كفاحها ضد " خورشيد" الغازي، واستطاعت بفضل الله ثم بفضل بسالة أهلها أن تثبت للجميع أنه مهما كانت قوة الغازي ، وسطوته وجبروته فإن هذه القوة وتلك السطوة سرعان ما تتحطم على صخور أسوارها المنيعة ،وقلوب رجالها الشديدة . وإن كان " الثنيان" يختتم حديثة بأن الحرب أثرت على جيش خورشيد وفتت في عضده مما أجبره على الإقامة لمدة خمسة أشهر لترميم الخلل المادي والمعنوي الذي حصل في جيشه من جراء الحرب[3] غير أن " العوهليّ" تختلف مع " الثنيان" فيما اعتقده وفسره ، فتقول " إن خورشيد كما أنه لم يشر إلى الإقامة الطويلة فكذلك لم يشر إلى تجاوز البلدة نهائياً ، وإنما أراد تجاوز النزول عندها مؤقتاً حتى يتضح له موقف أميرها ،ولذلك لما اتضح موقف الأمير " يحيى " تقدم خورشيد إليها وعسكر خارج أسوارها ، أما قضية التأخير والحصار فهذا يناقض الاتفاق الحاصل بين الإمام وخورشيد الذي بموجبه رفع الإمام الحصار عن الرياض وانسحب إلى الخرج . أما اكتمال الحملة فإنها لم تكتمل لوجود نقص في الذخيرة والجنود ، ثم تؤكد في النهاية أن سبب الإقامة هو سدّ النقص في بعض مستلزمات الحملة.[1]

-مما سبق يمكن أجمال الآثار و النتائج لهذه الحملة على عنيزة فيما يلي:

1- بناء قصر الصفاء في عنيزة من قبل خورشيد[2]

2-هروب جلوي بن تركي إلى أخيه فيصل في الدلم[3]

3-تتابع الوفود على خورشيد في عنيزة لتقديم المساندة

4-هيأ خورشيد عنيزة لتكون قاعدة خلفية للجيوش المصرية في نجد[4]

5- وقوع الصلح بين الطرفين (عنيزة وخورشيد)[5]

---

[3] الثنيان ، المرجع السابق ، ص269-271

[1] العوهلي ، المرجع السابق ، ص 128-130.

[2] ابن بشر ، عنوان المجد، ص 101-103

[3] ابن بشر ، المرجع نفسه ، 103/2 ، وانظر، محفظة (262) وثيقة (218)

[4] السلمان ،معركة عنيزة، مجلة العرب، ص، 628.

6- قدمت عنيزة صورة مشرفة من كفاحها ضد خورشيد وجيشه الغازي لها.

7-أثرت معركة عنيزة على جيش خورشيد وفتت من عضده[6]

ثالثاً- نهاية الحملة وآثارها :

1-*معارك الدلم ونهاية حكم فيصل للمرة ألأولى:*

لقد ذكر ابن بشر أن "خورشيد " رحل عن عنيزة بعدده وعتاده في آخر رجب سنة ، 1254 هـ/1838م ومعه كثير من العساكر المصرية والشامية ، ونزل الوشم ، ثم رحل وسار إلى الرياض وركب معه خالد بأهل الرياض وأهل العارض ، وسار الجميع إلى الدّلم ، وفيها الإمام فيصل قد استعد لحربهم ، فأقبلوا عليها ثاني عشر شعبان من نفس العام ، فلما نزل "خورشيد " بلد نعجان فإذا أهلها قد هربوا منها بنسائهم وذراريهم إلى الدلم ، ثم عزل الباشا جنوده من الترك والعرب ، وأقبلوا على الدلم صفاً واحداً ، وجعلوا جنجانهم ورواحلهم ومن معهم من الأعراب خلفهم ، وذلك خوفاً من الهزيمة [1].

وهذا العثيمين يؤكد مواصلة قائد الحملة سيره إلى الرياض . فلما وصل إليها أفصح عن نيته الحقيقية تجاه فيصل بن تركي ، وأنذره أنه سيحاربه إن لم يستسلم له . ورفض الإمام أن يستسلم لخورشيد ، فاتجه هذا القائد لمحاربته ودارت بينهما عدة معارك في جهة الدلم ،وكان النصر في النهاية حليفاً لخورشيد ومن معه . واضطر الإمام فيصل إلى أن يقابله لإنهاء الحرب ،واتفق على أن يؤمن أتباع فيصل وأن يتوجه هو إلى مصر ،وكان ذلك في العشر الأواخر من رمضان 1254هـ . وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل الأولى ، وحمل إلى القاهرة في

---

[5] ابن عيسى ، المصدر السابق ،ص 144.

[6] الثنيان ، المرجع السابق ، ص269-271.

[1] ابن بشر ، عنوان المجد 2/165-166

اليوم الثاني من شهر شوال من تلك السنة ، التاسع من ديسمبر 1838م[2]
يذكر عبد الرحيم أنه على أثر وصول "جلوي " إلى فيصلاً ، قام فيصل بإرسال كتاب إلى خورشيد ، فهم منه الأخير سوء قصد فيصل ، وتّتهم الوثائق فيصل بأنه قتل عثمان بك ، أمير اللواء،أوأن ذلك قد تم بإيعاز منه . وواضح طبعاً أن الهدف الأساس ، هو تبرير عمل خورشيد في القضاء على فيصل ، فأخذ ينتحل الأسباب التي تسّوغ له الهجوم عليه ، [3] .ثم لجأ خورشيد إلى أحمد باشا وإلى الحجاز يبلغه ويستشيره في الأمر ، وذلك بتاريخ 25 جمادي الأولى 1254 هـ ، حيث أن الموضوع يحتاج إلى مشاورات وتفكير عميقين [4] .ونظراً لما يعانيه البريد بين الحجاز و عنيزة من تأخير في إرسال الرسائل[1]، ولأن المسافة بين المنطقتين تستغرق ما يقارب الشهر .

وإذا كانت حملة خورشيد باشا جاءت استكمالاً لحملة إسماعيل بك وصراعها مع الإمام فيصل ، فإنها لم تكن كذلك بعد معارك الدلم ، إذا قامت بأعمال جديدة وسيطرت على أراضي جديدة وحققت كثيراً من أهداف عودة نشاط محمد علي العسكري في نجد والجزيرة العربية[2] · لقد خرج خورشيد باشا من هذه المعركة بمعنويات مرتفعة برغم المشاكل والصعاب التي واجهته ، وبرغم الظروف العسكرية والاقتصادية التي حلّت بجيشه الذي تناقص عدده نتيجة للقتلى والجرحى ، غير أن خيوله البالغة 448 رأسٍ لم تعد قادره على الحركة منها سوى النصف[3]، هذا فضلاً عن مقتل عدد من القادة الذي أدى إلى صعوبة إيجاد البديل لديه[4]،

---

[2] العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، 1/266-267 ،وانظر، عبد الرحيم ، محمد على وشبه الجزيرة العربية 2/309

[3] عبد الرحيم ، المرجع السابق ، 2/306

[4] محافظ عابدين : محفظة (214) وثيقة (220)

[1] محافظ عابدين : محفظة (5) وثيقة (48) حمراء .وانظر، محافظ الحجاز : محفظة (4) وثيقة (236) زرقاء

[2] المسعود ، المرجع السابق ، 293-294

[3] محافظ الحجاز ، محفظة(6)وثيقة(30)حمراء،وانظر،محافظ الحجاز،محفظة(6)وثيقة(21)حمراء.

[4] محافظ الحجاز ، محفظة(6)وثيقة(5)حمراء مكرر،من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي ،4شوال 1254هـ.

وبجانب ذلك عانى خورشيد باشا وحملته من صعوبات اقتصادية تمثلت في نقص المؤن والأغذية والنقود ، مع معاناته من قلة أعلاف الدواب لدرجة أنه اضطر لإرسال الخيل الخاصة به إلى المدينة المنورة كي تتوفر لها الأعلاف[5] كما اضطر لطلب المساعدات من الحجاز ومصر له ولقواته ، حيث طلب إرسال خمسة آلاف كيس من النقود[6]،

وخمس مئة إردب من الغلال[1]، هذا بالإضافة إلى مابين خمس مئة إلى ست مئة فارس ، وعلف للخيول يكفى لمدة تصل إلى أربعة أشهر[2].وعلى الرغم من تلبية وتوفير معظم طلبات خورشيد باشا وتأمينها له إلا أنه لجأ إلى شراء الغلال من بلدان نجد ، وذلك لعدم كفاية ما أرسل إليه من الحجاز ، وتوضح الوثائق أن مقدار ما تم شراؤه بلغ 13104 إردبات ، كان للقصيم النسبة الكبرى منها ، وذلك بسبب وفرة إنتاجها الزراعي واستقرار الأوضاع فيها بالنسبة للحملة ، وفي الوقت الذي جاءت فيه بلدان جنوبي نجد أقل بلدان نجد ، بسبب قلة الإنتاج مقارنة بالقصيم ، وسبب آخر ممكن أن نذكره وهو أن المنطقة حديثة عهد

---

(5) محافظ الحجاز ، محفظة(7)وثيقة(75)حمراء،سالة من خورشيد باشا إلى محمد على باشا ، 29 محرم 1255هـ.

(6) محافظ الحجاز ، محفظة(7)وثيقة(45)حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إرسال النقود ، 21 محرم 1255هـ

(1) محافظ الحجاز،محفظة(7)وثيقة(81)حمراء،رسالة من سليم باشا مأمور الجديدة إلى باشمعاون الخديوي حول إرسال المؤن إلى خورسيد في نجد،آخر محرم1255هـ.

(2) محافظ الحجاز ،محفظة(7)وثيقة(79)حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي،29 محرم 1255هـ.

بالحملة والحروب التي طال أمدها مما كان له أكبر الأثر في قلة الإنتاج[3]، وبجانب الشراء فإن تحصيل الزكاة كان رافداً مهماً للحملة وتزويدها بالغذاء والمؤن.[4]

وبعد أن تخلص خورشيد باشا من مشاكله العسكرية والاقتصادية بدأ العمل على تحقيق بقية أهداف حملته عبر خطوات متتالية حيث قام بإرسال الجنود إلى بلدان نجد لتثبيت حكمه فيها ، كما طلب من زعماء بلدان نجد مقابلته لأخذ تأييدهم له ، وقد تعهدوا له بالطاعة والمساعدة[1]، كما قام بهدم أسوار الدلم ، ثم أرسل حامية إلى السلمية[2]، وأرسل مابين مئة و مئة وخمسين من قواته للسيطرة على وادي الدواسر[3]، وذلك لتحقيق السيطرة التامة على بلدان نجد ومناطقها . ثم بدأ في العمل لإخضاع الإحساء ، نظراً لمكانتها الاقتصادية والسياسة ، و أهميتها الإستراتيجية ، وذلك لكي يضمن السيطرة على نجد من الجهة الشرقية ، ولكونها أرضاً سعودية يجب أن تضم إلى ما سيطر عليها من أراض ، وإلى جانب ذلك فإن السيطرة على الإحساء تتيح الفرصة لحكومة محمد علي باشا لمدّ النفوذ إلى

---

[3] محافظ الحجاز،محفظة(7)وثيقة(6)حمراء،رسالة من سليم باشا إلى باشمعاون الخديوي حول إرسال المؤن لخورشيد باشا،7محرم 1255هـ ،ونظراً للنقص الشديد في الغذاء فقد طلب خورشيد باشا إعادة الجنود المرابطين في عنيزة إلى المدينة المنورة،غير أن طلبه قوبل بالرفض من حكومة الحجاز،محافظ الحجاز،محفظة(6)وثيقة(22)حمراء،محفظة(7)وثيقة(18)حمراء،رسالة من سليم باشا إلى صاحب الدولة،13محرم1255هـ ،وتوضح رسائل خورشيد حاجته الماسة للطعام والمؤن دون الأسلحة،محافظ الحجاز،محفظة(6)وثيقة(91)حمراء،رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون الخديوي،5ذي القعدة1255هـ.

[4] وقد جاءت كمية مشترياته كما يلي ،القصيم=4000إردب،العارض=1948إردباً،جبل شمر=2500إردب،الوشم=1726إردباً،الخرج=1254إردباً،القويعية=389إردباً،سدير=1319إردباً،المحمل=468إردباً ،الأفلاج=250إردباً،وادي الدواسر=250إردباً،محافظ عابدين ،محفظة(167)وثيقة(163)حمراء

[1] محافظ الحجاز،محفظة(7)وثيقة(98)حمراء،رسالة من محرم أغا كبير معوني الجناب العالي حول سيطرة خورشيد باشا على نجد و الإحساء، 9صفر1255هـ.

[2] Winder:op.cit.p.122.

[3] محافظ عابدين،محفظة(266)مرفق بالوثيقة(6)أصلية،رسالة من خورشيد باشا إلى أحمد باشا،7ربيع الأول سنة 1255هـ

العراق وبلدان الخليج العربي ، ومن ثم وصلها بالشام لتصبح دولة موحدة خاصة لنفوذ والى مصر محمد على باشا.[4]

ولقد حاول خورشيد باشا مدّ نفوذه إلى الإحساء منذ أن كان في عنيزة ، وذلك باستخدام القوى المناوئة للدولة السعودية الثانية لتحقيق ذلك فاتصل بأمير بني خالد محمد بن عريعر المقيم في العراق ، وحثه على الاتجاه للمنطقة والاستيلاء عليها ، وقام بإرسال بعض القوات من عنيزة دعماً له[5] غير أن هذا المشروع لم يحقق النجاح الذي كان يأمله خورشيد باشا حيث ظل الأمير السعودي عمر بن غفيصان مسيطراً على المنطقة في تلك المرحلة . وبعد معارك الدلم استشار خورشيد حكومته في مصر حول قيامه بالاستيلاء على الأحساء بالقوة إلا أن تلك الحكومة لم تؤيده لعدم رغبتها في تفريق القوات وتشتيتها في الشام والجزيرة العربية ، ورأت أن يتم منح أهل الإحساء الأمان والسيطرة على منطقتهم سلمياً[1].

وهذا " عبد الرحيم " يذكر أنه بعد أن تم الصلح بين خورشيد وفيصل بيومين ، قام بإرسال عبد الرحمن الحملي ، بكتاب إلى عمر بن عفيصان ، ورؤساء أهل الإحساء ، وأعطاهم الأمان ، وطلب منهم القدوم إليه ، فخرج أهل الإحساء ، قاصدين خورشيد ، عدا عمر بن عفيصان الذي قصد البحرين ، حيث استقر بها بعض الوقت ، ثم قصد الكويت ونزل بها ، وعندما وصل أهل الإحساء في أواخر شوال 1254هـ / يناير 1839م ، إلى خورشيد أذن لهم بالرجوع إلى بلادهم[2].يقول ابن بشر – ثم أن الباشا بعد ما رحل أهل الإحساء إلى بلادهم

---

[4] عبد الرحيم،محمد علي.....،317/2،وكان خورشيد باشا يقدر إيرادات ميناء القطيف ما بين300و400فرانسة،محافظ عابدين،محفظة(167)وثيقة (163)حمراء.

[5] محافظ الحجاز، محفظة(5)وثيقة(76)حمراء،رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون الخديوي،28رجب1254ه

[1] عايض الروقي ، حروب محمد علي في الشام وأثرها على شبه الجزيرة العربية ،ص 277 (مكة المكرمة) – جامعة أم القرى ، 1414ه

[2] عبد الرحيم ، محمد على ...، 310

أمّر عليهم " أحمد بن محمد السد يري "[3] وكان الباشا موفقاً في اختيار هذا كي يسكّن روعهم من عسكر الروم وهروب أميرهم عمر بن عفيصان ، ولو كان الأمر وقع على غير " السد يري " لوقع في الإحساء خلل كبير ، ولهرب منهم الجمّ الغفير . فقصد السد يري الإحساء ومعه من العسكر مائة وثلاثون خيالاً ، ودخل الإحساء واطمأنت القلوب ، ونزل بيت الإمارة في قصر الكوت ، وفرّق العساكر في القصور والثغور.[4]رتب أحمد السد يري الأمور في الإحساء ، فأقر العلماء والقضاة ، كل منهم على مرتبه ، كما أقر عمال عمر بن عفيصان على مراتبهم ، فشكره الجميع على حسن تصرفه ، وعدم تعسفه ، ثم كاتب أهل القطيف ، فوفدوا إليه و بايعوه ، فعين قوة للقطيف للحفاظ على الأمن فيها وأرسل أبا طاهر ليكون على رأس الجند هناك ولقد أمر أحمد السد يري بعد ذلك بخرص الزروع في القطيف والإحساء ، لتقدير مقدار زكاتها ، فتم خرصها من غير تعدّ ولا ظلم وساد الإقليم الأمن والاستقرار.[1] وعلى الرغم من أن السد يري تمكن من تثبيت الأوضاع في المنطقة إلا أن خورشيد باشا فكر بالذهاب بنفسه إليها للاطمئنان على أوضاعها ثم العودة إلى نجد[2]، غير أنه عدل عن رأيه هذا ، وقرر إرسال قائديه طاهر الجيلاني ومحمد أغا الفاخري ومعهما خمسون رجلاً من قواته دعماً للسديري ومن معه ، مما مكنه من السيطرة على جميع بلدان

---

[3] من قبيلة الدواسر ، ينتهي نسبه إلى قحطان ، وأولاده سته محمد وتركي و عبد المحسن و عبد العزيز و سعد و عبد الرحمن ، وكان مسكنهم الغاط البلدة المعروفة في سدير بنجد ، أثنى جميع المؤرخين على أسرته وامتدحوهم بالجود والكرم وأصالة الرأي والشجاعة .(عبد الرحمن المغيري : المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ، ص 119 – 120 . طبع على نفقة الشيخ على عبد الله آل ثاني .

[4] ابن بشر ، المصدر السابق ، 2/174-175

[1] صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها 1/305 ، بيروت 1957 م ، وانظر ،عبد الرحيم ، محمد على ، 2/310-311

[2] محافظ الحجاز : محفظة (6) وثيقة (85) حمراء . رسالة من محرم أغا إلى عباس باشا حول عزم خورشيد الاتجاه إلى الإحساء ، 3 ذي القعدة 1254هـ

المنطقة[3]. وقد عمل خورشيد باشا بعد ذلك على الاستفادة من إمكانات الإحساء العسكرية وإصلاح ثمانية وعشرين مدفعاً كانت موجودة فيها بحاجة إلى ترميم[4]، كما عثر على سبعين مدفعاً في القطيف وبعض من الذخائر التي عمل على الاستفادة منها ، ولحل بعض المشاكل الاقتصادية حاول خورشيد باشا شراء الغلال من البلدان المجاورة للإحساء فبلغ مجموع ما اشتراه من القمح والشعير عشرة آلاف إردب[5]، كما لجأ إلى فرض الضرائب على الأهالي خاصة بعد تعيين حاكم جديد في المنطقة وهو " محمد رفعت " الذي انتهج الظلم والبطش لتنفيذ سياسة محمد على باشا بتطويع الإحساء لخدمة أغراضه الآتية والمستقبلية.[6]

وفضلاً عن ذلك بعد أن تمكن خورشيد باشا من إطباق السيطرة على كامل أراضي الدولة السعودية الثانية بما فيها الإحساء عمل على وضع الترتيبات الكفيلة بالحفاظ على تلك السيطرة ، وبما أن مركزه في نجد هو المعول عليه في ذلك ، فقد عمل على تكثيف الوجود العسكري فيها عن طريق طلب المزيد من القوات خاصة الفرسان لاستخدامهم في تأديب بعض المناطق النائية حيث طلب إرسال خمس مئة فارس لهذا الغرض[1]، هذا بالإضافة إلى حمولة أربع مئة جمل من الذخيرة ، وهذا دليل آخر على أن الهدف من الحملة ليس مجرد القضاء على الإمام فيصل بن تركي فحسب ، بل مدّ السيطرة على أرجاء الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي ، وإحكام السيطرة على نجد منعاً لظهور أي قوى مقاومة مستقبلية منها . وفي آخر محرم 1255هـ / إبريل 1839م غادر خورشيد باشا جنوبي نجد

---

[3] عثمان بن بشر ، المصدر السابق ، 109/2 .وانظر ، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، محمد علي ... 318 – 322 ، وتشير الوثائق إلى أن خورشيد باشا كان عازماً على إرسال 200 فارس للإحساء . محافظ الحجاز : محفظة (6) وثيقة (30)

[4] محافظ الحجاز : محفظة (7) وثيقة (30) حمراء . رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول ترميم مدافع الإحساء ، 17 محرم 1255 هـ.

[5] محافظ الحجاز : محفظة (7) وثيقة (98) حمراء

[6] المسعود ، المرجع السابق ،ص 297 -298

[1] محافظ الحجاز : محفظة (6) وثيقة (30) حمراء.

،وحين وصوله إلى الرياض أرسل إلى معاونه حسن أفندي الموجود في ثرمداء بمنطقة الوشم طالباً منه إرسال بعض أتباعه لتقدير زكاة المحاصيل الزراعية في جميع البلدان الخاضعة لحكمة في الإحساء ونجد[2]، ثم اتخذ خورشيد باشا من ثرمداء قاعدة لحكمه وقرر الاقامه فيها ، حيث انتقل إليها في بداية شهر ربيع الأول سنة 1255 هـ / يونيه 1839 م ، وقام ببناء قصر فيها واتخذه مقراً لحكومته هناك[3] بينما أسند إدارة الأمور في الرياض إلى خالد بن سعود .[4] وبعد أن بنى "خورشيد" قصره في (ثرمداء) ، أقام للجنود معسكراً خارج المدينة ، وكان لقرار خورشيد باشا ، باتخاذ " ثرمداء " قاعدة لمعسكره ، أثر بالغ على كثير من العربان المقيمين في المنطقة خشية أن يقوم جنود الباشا بجمع جمالهم واستعمالها في نقل معداتهم وأمتعتهم والإمدادات التي يجلبونها من المناطق الأخرى ، فهرب عربان قحطان وعتيبة إلى " رنية وبيشة " ، وعربان مطير إلى الكويت والبصرة والجزيرة ، مما سبب لخورشيد باشا كثيراً من المتاعب ، ووضعه في موقف حرج ، فأرسل إلى أحمد باشا يكن يستشيره في كيفية مواجهة هذا الموقف وطلب منه أن يتم التنسيق بينهما " بشيء أشبه بالغزو " لعل ذلك يسهل مهمة مطاردة عربان قحطان وعتيبة الذين يوجدون بجهة رنيه وبيشة ، وقد قام أحمد باشا بمطاردة هؤلاء العربان من فوق " تربة " إلى هضاب الدواسر ، مستعيناً في التغلب عليهم بشيوخ القبائل المواليه مثل " محمد بن قرملة" وغيره.ولما علم محمد علي بموقف هؤلاء العربان من خورشيد باشا ، أرسل إلى أحمد باشا يأمره بتعقب عربان قحطان وعتيبة في الجهات التي يكونون فيها وتأديبهم ، ولكن أحمد باشا رأى في تعقبهم صعوبة كبيرة ، لأن هؤلاء العربان من العربان الرحل الذين لا يستقرون بمكان بل يتجولون ما بين أطراف وداخل نجد . ولذا فإنه من الصعب العسير تعقبهم ، ولا

---

[2] عثمان بن بشر ، المصدر السابق ، 2/ 112.

[3] محافظ الحجاز : محفظة (7) وثيقة (98) حمراء ، وانظر عثمان بن بشر ،المصدر السابق ، 112/2

[4] إبراهيم بن ضويان، تاريخ إبن ضويان ، ورقة 18.؛ وانظر، عبد الرحيم ، محمد علي،ص 311

يمكن تعقبهم إلا بحصرهم بين قوتين ، قوة من جهة خورشيد باشا ، وبهذا الأسلوب يمكن حصرهم والإيقاع بهم[1] هذا وقد تمت إجراءات ضدّ هؤلاء العربان ، عربان قحطان وعتيبه عمليات عديدة ، إلا أن تتبع الأحداث ، يثبت أنهم ظلوا وحتى انسحاب قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية ،يسببون لحكومة نجد والحجاز كثيراً من المتاعب ، ويثيرون كثيراً من الاضطرابات ، فهم حين يغلبون يطيعون ويدفعون ما عليهم من زكاة ، وحين يشعرون بالقوة يتمردون ويعصون ولا يدفعون ما عليهم من زكاة[2] وظل هذا حالهم إلى نهاية الفترة[3].

وقد عمل خورشيد وهو بثرمداء على جميع المحاصيل الزراعية من بلدان نجد ، حيث أرسل جنوده لجلبها إليه في ثرمداء ، أما البلدان القريبة من مقر حكمه فقد كلف الأهالي بنقل محصولها إليه بأنفسهم[1]، وكان يهدف بتلك الإجراءات تدعيم موقف قواته وتأمين سبل العيش لها ، وفي الوقت ذاته إضعاف موقف الأهالي وإشغالهم بتوفير معيشتهم كي لا يتفرغوا لمقاومته.[2]

ولقد أدت تلك الإجراءات إلى سيطرة خورشيد باشا بشكل نهائي على شؤون نجد وتوطيد نفوذه فيها ، ليبدأ في التطلع إلى بلدان الخليج العربي متخذاً من سيطرته على الإحساء ، ومن تبعية كثير من تلك البلدان للدولة السعودية الثانية وسيلة لإدخالها تحت حكم محمد علي باشا[3]، وقد تفاوت دور القوى المناوئة

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، محمد على شبه الجزيرة العربية ، 2/ 311 – 312 .

[2] دار الوثائق القومية :محفظة(264)عابدين،وثيقة(1)أصلية،خطاب موجه من خورشيد إلى أحمد باشا،بتاريخ 13محرم1255هـ/29مارس1839م،وثيقة(2)أصلية،خطاب موجه من خورشيد إلى أحمد باشا،بتاريخ7ربيع الأول 1255هـ/20يونيه1839م،محفظة(269)عابدين،وثيقة(161)حمراء،مادة(6)بتاريخ2ربيع الثاني 1255هـ/15يونيه1839م،مادة(7)بتاريخ غرة جمادى الأولى1255هـ/13يوليو1839م،مادة(11) بتاريخ 25جمادى الأول 1255هـ/6أغسطس 1839م،مادة(22)بتاريخ5رجب1255هـ/4أكتوبر1838م من أحمد باشا يكن إلى عباس باشا ، كتخدا محمد علي ، وحسين باشا ، رئيس معاوني محمد علي

[3] عبد الرحيم ، محمد علي ، 312/2

[1] ابن بشر ، المصدر السابق ، 113/2

[2] المسعود ، المرجع السابق ،299

[3] عبد الله الصالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، 253/1

للدولة السعودية الثانية في دعم الحملة وتسهيل مهامها أو معارضتها ، حيث كان لأمراء الحجاز دور مهم في ذلك عندما أسدى أمير ينبع عبد الله بن عبد المعين خدمات كبرى للحملة منذ أن كانت في المدينة المنورة ، وذلك حين كلفه خورشيد باشا بالسفر إلى نجد لمقابلة الإمام فيصل في منفوحة والتفاهم معه في مسألة رفع الحصار عن الرياض[4]،كما تحمل ابن عبد المعين مضايقات بعض القادة والجنود المقيمين في الرياض الذين أصابهم الحصار بالملل وسوء الحالة النفسية مما دعاهم للتطاول عليه حين زار الرياض بعد مفاوضات مع الإمام فيصل[5]، ولم يكن دور ابن عبد المعين دبلوماسيا فقط بل كان له دور عسكري تمثل بالإشراف على نقل الجنود والمعدات من الحجاز إلى نجد ، وبرز هذا الدور حين كان خورشيد باشا في عنيزة فأرسله إلى المدينة المنورة لذلك العمل ، وحين وصل إلى المدينة المنورة لم يجد المؤن الكافية لنقلها ، فما كان منه إلا أن سافر إلى ينبع التي يحظى بإمارتها لينقل منها حمولة ما يقارب ألفا وخمس مئة جمل من المؤن دعماً لخورشيد باشا وحملته.[1] [2]

وقد استمر ابن عبد المعين في خدمة خورشيد باشا أكثر من سنتين ونصف ، وكان يلازمه في بعض الحروب والاشتباكات ، ولذا فقد أرسل خورشيد باشا إلى محمد علي باشا واصفاً شجاعته وإخلاصه وموضحاً ظروفه المعيشية الصعبة التي تحتم مساعدته بإجراء مرتب شهري كاف له[3]، كما تشير الوثائق المصرية إلى أن بعض أعيان أمراء الحجاز قد عملوا مع خورشيد باشا مبعوثين من قبله إلى أمراء القبائل ورؤساء البلدان في نجد.[4]

---

[4] محافظ الحجاز : محفظة (4) وثيقة (271) زرقاء.

[5] محافظ الحجاز : محفظة (4) وثيقة (38) حمراء .

[1] محافظ الحجاز : محفظة (5) وثيقة (5) حمراء .

[2] المسعود ، المرجع السابق ، 299-300

[3] محافظ الحجاز : محفظة (4) وثيقة (37) حمراء

[4] محافظ الحجاز : محفظة (10) وثيقة (88) حمراء . رسالة من محرم أغا إلى باشمعون الجناب العالي ، 24 ربيع الأول 1256هـ.

أما إمارة الحجاز الرسمية الممثلة بالأمير محمد بن عون ، فقد غاب دورها في دعم هذه الحملة أو مناوئتها وذلك نظراً لاستمرار احتجاز ابن عون في مصر لدى محمد على باشا ، وبقاء منصبه شاغراً طيلة تلك المدة.[5]

2- نشاط خورشيد في منطقة الخليج:

لقد برز من جديد دور أمراء بني خالد منذ إبعادهم عن الحكم " حكم الإحساء " على يد الإمام تركي بن عبد الله سنة 1245هـ / 1830م ، حيث مكثوا في العراق منذ ذلك الوقت ، إلا أنهم سرعان ما رحبوا بالتعاون مع خورشيد باشا بدافع رغبتهم المتجددة باستعادة إمارة الإحساء ،خاصة بعد ما فقدوا الأمل بمساعدة " علي رضا " لهم لتحقيق مطامعهم.[6] في ظل تحسن علاقاته بالدولة السعودية الثانية نتيجة لتطور الأحداث المترتبة على عداء العثمانيين لمحمد على باشا . ولقد كان خورشيد باشا على دراية تامة بمشاعر أمراء بني خالد ورغباتهم تلك ، فأراد الاستفادة من خدماتهم لتحقيق بعض أغراضه في المنطقة والتي تتمثل في جعلهم قوة موالية له في الإحساء هذه المنطقة ذات الغنى الاقتصادي والمزايا المتعددة للاستفادة منها مستقبلاً ، مع حرمان الإمام فيصل من الاستفادة من تلك المزايا وإشغاله بقوه من خلفه تجعله محاصراً من خورشيد باشا من جهة وأمراء بني خالد من الجهة الأخرى.[1] إضافة إلى رغبته بقطع خط الرجعة على الإمام فيما لو فكر بالانسحاب من الدلم إلى الإحساء مثلما حدث سابقاً ، بجانب رغبة خورشيد باشا في الحصول عن طريق أمراء بني خالد على الجمال من تلك المنطقة[2]، ولذلك عمد خورشيد باشا منذ أن كان مع حملته في الحناكية للاتصال بأمير بني خالد محمد بن عريعر عن طريق أحد رجاله كي يقدم لمقابلته ،

---

[5] أحمد دحلان، المصدر السابق ، 300 - 301

[6] عبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، 211

[1] المسعود ، المرجع السابق ، 300 - 301

[2] عايض الروقي ، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ، (1247 – 1255 هـ / 1831 – 1839 م) ، ص 274 ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، 1414هـ.

وبعد أن وصل خورشيد باشا إلى عنيزة قدم ابن عريعر إليه[3] فأسند إليه إمارة الإحساء ، وأرسله للاستيلاء عليها ، وتمكن من الاستيلاء على القطيف بعد تغلبه على قوات عمر بن عفيصان الذي حوصر في الإحساء من قبل ابن عريعر[4]، وبعد ذلك أرسل ابن عريعر إلى خورشيد باشا طالباً منه النجدات والمساعدة[5] فأرسل إليه خورشيد باشا بعض القوات لإتمام السيطرة على الإحساء والتغلب على ابن عفيصان.[6]

وهذا "عبد الرحيم " يقول : " لقد قرر خورشيد ، بعد أن استقر له الوضع في الخارج ، واتخذ من "ثرمداء " قاعدة له ، أن يبدأ على نطاق واسع في تنفيذ مخططه الخاص باسترداد مناطق شرقي شبه الجزيرة العربية التي كانت خاضعة لآل سعود ، ثم مدّ نفوذ محمد علي إلى كل من الكويت والعراق ، كي تلتحم هذه المناطق ببلاد الشام لتصبح وحدة واحدة تحت نفوذ محمد علي.[1]

ولذا فإن خورشيد باشا قام في 3 ذي القعدة 1254هـ / 18يناير 1839م ،بتعيين " محمد رفعت " وكيلاً عنه لتنفيذ مخططه في منطقة الخليج ، وأرسل معه قوة من المشاة ، وثلاثمائة فدّاوي[2]، تحت قيادة الفاخري المغربي ، وزوده برسائل إلى آل خليفة في البحرين . وقد أدى محمد رفعت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة في تلك الفترة ، فسيطر سيطرة تامة على الموقف في الإحساء والقطيف ثم بدأ

---

[3] محافظ الحجاز : محفظة (5) وثيقة (76) حمراء. هناء العوهلي : المرجع السابق : 148

[4] محافظ الحجاز : محفظة (5) وثيقة (76) حمراء .

[5] محمد عرابي نخلة ، تاريخ الإحساء السياسي، 1818 – 1913 م ، ص 72 ، الكويت ، ذات السلاسل ، 1400 هـ /19850م

[6] محافظ الحجاز : محفظة (5) وثيقة (76) حمراء .

[1] عبد الرحيم ، محمد علي ، 317/2-318

[2] فدّاوي: تعني الجندي المدرب تدريباً خاصاً ، ويمتاز بروح التضحية والفداء ، وكان هذا النوع من الجند ، يعد بمثابة الحرس الخاص،أنظر عبد الرحيم ، محمد علي ، 317/2-

اتصالاته بآل خليفة.[3] هذا وقد حاولت قوات تابعة لأمراء بني خالد تشتيت القوات السعودية في الإحساء فقام العاميد بشن هجمات بحرية ضد القوارب السعودية في ميناء القطيف والعقير ، وحاولا تدبير مؤامرة عسكرية لصالح حملة خورشيد باشا وذلك بمباغتة القوات السعودية في الهفوف،غير أنه اكتشف الأمر وتم إعدام ثلاثة من مدبري المؤامرة.[4] ولإدراك خورشيد لأهمية الإحساء والقطيف ، لكي يحكم السيطرة على نجد من ناحية ، والوقوف في وجه التحركات البريطانية من ناحية أخرى كان تركيزه عليهما ، وإرساله قوة إلى المنطقة مع محمد رفعت بخلاف القوة التي أرسلت مع أحمد السديري ، وكان يوجد بالقطيف قلعتان فيهما ثمانية وعشرون مدفعاً ، ولذا فإن أوامر خورشيد لقواته كانت صريحة في الاستيلاء على هاتين القطعتين ، وتحصين المنطقة تحصيناً كاملاً تاماً ، واتخاذها قاعدة لتحرك قواته في منطقة الخليج لأهمية مينائها وصلاحيته للعمل ، وحرصاً من خورشيد باشا على إنجاح مخططه للاستيلاء على منطقة الخليج ، فإنه طلب من محمد علي وحكومة الحجاز ، أن ترسل قوة أخرى لتعضيد قواته ،من جدة إلى القطيف ، عن طريق البحر الأحمر ، ولكن طلب خورشيد هذا رفض " بسبب بعض المحذورات"[1]، فقد وضع محمد علي في اعتباره عند تقديره الموقف ، موقف بريطانيا من ذلك، الذي كان (بلمر ستون) قد بدأ يفصح عنه بصراحة ولذا كان تخوف محمد علي من بريطانيا في منطقة الخليج خاصة وأنها كانت قد وطدت نفوذها في مشيخات الساحل العماني ، بسلسلة من المعاهدات منذ معاهدة 1235 هـ / 1820 م[2].

---

[3] دار الوثائق القومية : محفظة (276) عابدين ، وثيقة (2) أصلية (137) حمراء ، من خورشيد باشا إلى أحمد باشا يكن (من الرياض) بتاريخ ، 19 محرم 1255 هـ / 4 ابريل 1839 م .وانظر ، عثمان بن بشر ، المصدر السابق : ج 2 ، ص 86.

[4] ج.ج . لوريمر : المرجع السابق : 1638/3

[1] أحمد عسه ، المرجع السابق : ص35

[2] بخصوص هذه المعاهدات انظر،د / عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، دراسة في العلاقات التعاهدية ص ص 155– 251.

ويؤكد " عبد الرحيم " انزعاج خورشيد باشا من ردّ القاهرة عليه ، ورفضها لطلبه غير مدرك للاعتبارات التي كان يضعها محمد علي في تقديره للموقف ، ولذا فإنه أرسل بطلب إيضاح المقصود بالمحذورات ، التي تمنع إرسال القوة البحرية إليه من جدّة[3] فكتب " إنّ في خطابكم العالي تقولون ، إن في إرسال السفن محذورات ، فقد حصل لنا قلق بال ، واضطراب فكري من هذه الجملة ، فنرجو إيضاح الكيفية لنا مفصلّة ، حتى نجري بموجب تلك الإيضاحات سيدي "[4]، ولكن القاهرة رغم إلحاح خورشيد باشا ، على إرسال القوة البحرية إلى القطيف فإنها لم تستجب لطلبه ، وبدأ خورشيد يتفهم حقيقة الموقف ، حينما بدأ تنفيذ مخططه معتمداً على قواته الذاتية ، فقد أمر محمد رفعت باتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ المهمة المنوطة به ، بدأ محمد رفعت تنفيذ مهمته في الخليج بتوطيد الأمور في منطقة الإحساء والقطيف ، وقد أدرك بعد دراسة أحوال المنطقة أن آل خليفة لا يهتمون كثيراً بالإحساء لبعدها عن البحرين ، ولعد م صلاحية مينائها للملاحة ، ولهذا فإن مبارك بن عبدالله بن أحمد ، ابن أمير البحرين كان يقيم في قصر الدمام ، و مبارك هذا موطد علاقاته بأهل المنطقة ، ومتزوج بنت شافير بن شعبان شيخ الهواجر ، و جماعة من الهواجر يقيمون معه ، و هؤلاء الهواجر ، يحدث منهم دائماً اعتداء على أهل القطيف ، وكذلك أهل العماير الذين يقيمون في قلعة " عتك" الواقعة بين سيهات والقردة . وأن هذه القلعة محصنه ولها أبراج معينة أربعة ، وهؤلاء العربان الذين يتمتعون بحماية آل خليفة ، يعتدون كثيراً على أهل القطيف نتيجة[1] لاعتداءات الهواجر والعمائر عليهم ، اضطروا إلى الهجرة إلى

؛وانظر صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ص 99 – 108

[3] عبد الرحيم ، محمد علي ، 2/317-318.

[4] محفظة (267) عابدين ، وثيقة (2) أصلية (37) حمراء .

[1] عبد الرحيم ، محمد علي ،320/2

البحرين[2]. ومن الواضح أن أمراء بني خالد قد بدؤوا يدركون نية خورشيد العدائية تجاههم منذ سيطرتهم على الإحساء، حيث قام بطرد العمائر من القطيف ، بل إنه اتفق مع حكام البحرين على عدم السماح لهم بالعودة إليها دون سابق إذن منه[3]. ولذا قرر محمد رفعت بعد إدراكه لحقيقة الموقف في القطيف على وضع حدّ لاعتداءات هؤلاء العربان على أهل القطيف ، وإخضاعها لنفوذه إخضاعاً تاماً ، فاتجه يوم الاثنين 21 ذي القعدة 1254هـ / 5 فبراير 1839م من الإحساء إلى القطيف ، على رأس قوة مكونة من خمسين نفراً ، من جماعة الفاخري ، ومعه محمد أغا الكاشف رئيس القوه ، فوصل القطيف يوم الخميس 24 ذي القعدة 1254هـ / 8 فبراير 1839م ، فوجد أبواب أسلكة القطيف مقفولة ، والبلاد محصورة ، ونخيلها خربة ، وأهلها لا يستطيعون الخروج ، خوفاً من الهجمات التي تقع عليهم من جانب عربان الهواجر والعماير ، فأمر أهل القطيف بفتح أبوابها ، ودخل بقواته البلد ، فوجد بها أحد عشر مدفعاً ، ونحو مائتين وخمسين أقة بارود ، فطمأن أهل البلد بحمايتهم ، ونبه عليهم بجمع بواردیتهم وأعد مدفعين من المدافع التي وجدها في البلد ، ولم يكن أهل القطيف على دراية بكيفية استخدامها بطريقة صحيحة ، وخرج على رأس قوة إلى قلعة " عتك " حيث يقيم عربان العماير وبنو خالد وهاجم القلعة وتمكن من الإمساك بشيخ العماير ، وهرب بقية الرجال الذين كانوا يتحصنون بالقلعة في مركبين على البحر ، وتمكن محمد رفعت بقوته من السيطرة على القلعة والاستيلاء عليها[1]، ووجد فيها ثلاثة مدافع وجانباً من التمر وبعض عفش خاص بعربان العمائر

---

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(267)عابدين،المرفق العربي للوثيقة(164)حمراء،من محمد رفعت إلى خورشيد باشا،بتاريخ25ذي القعدة1254هـ/ 9فبراير1839م.

[3] محافظ عابدين : (267) مرفق عربي للوثيقة (137) حمراء ، نقلاً عن : بدر الدين الخصوصي و محمد علي باشا والخليج العربي " 1838-1840م " مجلة كلية الآداب والتربية ، ص 110 ، جامعة الكويت ، ع5، يونيه 1974هـ ، جمادي الأولى 1394هـ ، ص 296 – 301

[1] عبد الرحيم ، محمد علي . ، 2/ 320 -321

فرتب الأمر وأبقى في القلعة أبا خزام و الفداويين ، وأخذ المدافع الثلاثة إلى القطيف ، ثم أرسل الحمير لتحمل المتاع الذي وجد في القلعة[2] . هكذا تخلص محمد رفعت من إحدى الجبهتين اللتين كانتا تتعديان على أهل القطيف وتسببان لأهلها الخوف والفزع ، ولم يبق أمامه إلا الجهة الأخرى ، وهي جهة قصر الدمام حيث يقيم مبارك بن عبد الله . ولقد أراد محمد رفعت أن يتبع مع مبارك أولاً طريق السلم ، فأرسل إليه طالباً حضوره إليه لمنحه الأمان فأرسل إليه مبارك حصين شيخ الهواجر ، ليقف على حقيقة الأمر ، ويعرف هدف محمد رفعت ، ويرى ما لديه من قوة ، ومدى الاستعدادات التي رآها لدى محمد رفعت ، وشرح له محمد رفعت هدفه ، وهو الاستيلاء على القلاع لكونها ليست إلا للحكام ، وأن هؤلاء الناس مضروين لأهل البلاد ، ومضروين لنا في الجمرك ، لكون جميع المراكب التي فيها شيء يؤخذ عليه العشر ، وأنه ليس له هدف عدواني ، وأرسل الأمان مع حصين إلى مبارك ، فقبل مبارك الأمان ، واقتنع بما أوضحه له حصين ، ولكي يثبت محمد رفعت حُسن نيته لمبارك ، قام بالإفراج عن شيخ العماير الذي كان يتمتع بحماية آل خليفة ، ورد إليه مركبه الذي أُخذ من قلعة " عتك" ، ومنحه ورقة أمان له ولجماعته شريطة أن يسكنوا جزيرتهم التي هي " جزيرة العماير "[1])[2].

وهذه الجزيرة " العماير " قريبة من القطيف ، كما وعدهم بعدم فرض أية غرامة عليهم أو وقوع أي ضرر عليهم ما داموا يتمتعون بالأمان الممنوح لهم ومعلنين ولاءهم[3] ، وبذلك استكان الأمر في القطيف ، وبدأ سكانها يمارسون حياتهم

---

[2] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، المرفق العربي للوثيقة (164) حمراء ، من محمد رفعت إلى خورشيد باشا ، بتاريخ 25 ذي القعدة 1254 هـ / 9 فبراير 1839م .

[1] جزيرة العماير : هي جزيرة قريبة من القطيف من جهة الشمال منها. انظر الوثيقة السابقة ، المرفق العربي للوثيقة التركية (164)

[2] عبد الرحيم ، المرجع السابق ، 321/2

[3] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، المرفق العربي للوثيقة (164) حمراء ، من محمد رفعت إلى خورشيد باشا ، بتاريخ 25 ذي القعدة 1254 هـ / 9 فبراير 1839م .

ويعيشون في أمان واطمئنان ، وفرض محمد رفعت نفوذه عليها ، وبدأ ينفذ المرحلة التالية من المخطط الذي وضعه خورشيد باشا ، وهي مرحلة الاستيلاء على البحرين .

وأدرك محمد رفعت الأهمية الكبرى للبحرين كي تستقر الأحوال في الإحساء والقطيف فزارها ليتحقق من مقاصد أهلها ، ويقف على أحوالهم بالصورة الواجبة ، تقديراً لأهميتها بالنسبة للمنطقة ، وقابل أميرها " عبد الله بن أحمد " وتحقق من امتناع أهل البحرين للدخول في طاعة محمد علي للعوامل التالية:

أولاً :- مكاتبة كل من المقيم البريطاني في بوشهر Bushire، ووالي بغداد ، لعبد الله بن أحمد ، وتحريضه على عدم إعلان طاعته لحكومة محمد علي وقد رأى محمد رفعت بنفسه مندوب كل من المقيم البريطاني ، ووالي بغداد في البحرين.

ثانياً : احتجاج آل خليفة بأن تبعيتهم لآل سعود ، كانت نابعة من كونهم عرباً مثلهم ، وأنهم لم يدخلوا تحت حكم أجنبي مطلقاً.

ثالثاً : اعتمادهم في حمايتهم على البحر الفاصل بين الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، وجزيرتهم ووجود السفن لديهم ، واستعدادهم للقتال .

ولذلك قال محمد رفعت:-" يجب الاستيلاء عليها كي تستقر الأحوال في الإحساء والقطيف ، وتكون سبباً لحصول الحركة في ميناء الإحساء والقطيف ، ولترويج بعض المنافع الأميرية ، لإدارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد ، هذا ما نراه في إدخالها تحت حكومة ولي النعم"[1].

اتفق خورشيد باشا وعبد الله بن أحمد أمير البحرين أن يدخل الأخير في طاعة حكومة محمد علي ، لكي يبعد عنه الخطر الذي يهدده من جانب سلطان مسقط سعيد بن سلطان ، لأن السيد سعيداً صديق لمحمد علي ، فإذا علم

---

[1] دار الوثائق القومية،محفظة(267)عابدين،المرفق العربي للوثيقة(164)حمراء،من محمد رفعت إلى خورشيد باشا،بتاريخ25ذي القعدة1254هـ/9فبراير 1839م

بخضوع البحرين لحكومته ابتعد عنها فإذا " بلغه اتفاقنا معكم ، فلا يحط يده ، وهذه الأمور لا تحملوا همها ، هذا علينا "[2].

ولما وصل محمد رفعت وكيلاً عن خورشيد للاتفاق معه على هذه الأمور ، وجد أن الأمير عبد الله قد عدل عن فكرته التي ذكرها لخورشيد ، وهذا التغيير كان نتيجة حكومة بغداد التي عملت بكل الطرق لعرقلة مشروعات محمد علي فتمكنت من إغواء الأمير بالعدول عن ميله للاتفاق مع خورشيد باشا هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الأمير كان يخشى جانب الإنجليز في حالة اتفاقه مع خورشيد باشا ، غير أن محمد رفعت بذل كل جهده لتحقيق هدف خورشيد باشا ، وقبل الأمير الاتفاق مع حكومة خورشيد ، ودفع الزكاة لها ، وكتب الأمير عبد الله بن أحمد إلى خورشيد باشا بتاريخ 23 صفر 1255 هـ / 8 مايو 1839 م ، يخبره بالاتفاق الذي " تم بينا وبينكم ، على يد محمد أفندي ،كما ذكر جنابه ، نيابة من طرف جنابكم ، على أن نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم ، وأنتم كذلك ، ونؤدي لجنابكم الزكاة ، كما هو مذكور ، في الورقة التي كتبناها لجنابكم ، واصلتكم معه ، وأخذنا منه ورقة مقابلتها باسمك ، وورقة أخرى من جنابه على ربط الجواب بالعهد ، وصار حالنا معكم واحد[1] ولقد عارضت بريطانيا هذا الاتفاق وقام الأمير عبد الله بن أحمد بالرد على رسائل المقيم البريطاني موضحاً الأسباب التي دعته إلى الارتباط بحكومة خورشيد باشا والتي تتمثل فيما يلي :

أولاً : قوات خورشيد باشا سلكت سلوكاً حسناً ، إزاء الأهالي في البلاد التي خضعت لنفوذ حكومة نجد ، فكان عاملاً مشجعاً له على الارتباط بهذه الحكومة .

---

[2] دار الوثائق القومية،محفظة(267)،المرفق العربي للوثيقة(137)،الجواب المرسل من خورشيد باشا إلى عبدالله بن أحمد آل خليفة،أمير البحرين20ذي القعدة1254هـ/6مارس1839م.

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، المرفق العربي للوثيقة (137) حمراء ، من عبد الله بن أحمد آل خليفة إلى خورشيد باشا سر عسكر نجد ، بتاريخ 23 صفر 1255هـ / 8 مايو 1839 م

ثانياً : قوات خورشيد باشا سيطرت على جزء كبير من ساحة الخليج المواجهه للبحرين ، فلا مفر من التوافق مع هذه الحكومة الجديدة ، حماية لبلاده وموارده.

– ولكن المقيم البريطاني " هنيل " سجل احتجاجه رسمياً لمخالفت الاتفاق بناء على أمرين :

الأول : القرار الكائن بين عبد الله بن أحمد ذاته ، والقائد العام للقوات البريطانية ، الذي تم منذ سنتين مضت .

الثاني : تعهد محمد علي " إلى أمناء الدولة الإنجليزية ، أن عساكره لا تتعدى على بلاد العرب المتصلة بخليج فارس .

غير أن خورشيد باشا قد حسم الموقف مع أمير البحرين وجدد معه الاتفاق على الأساسين التاليين :

أولاً : أن يرسل خورشيد باشا ورقة أمان كاف وواضح.

ثانياً : أن يكون لدى محمد رفعت توكيل يطلع عليه ، يفيد تفويضه تفويضاً كاملاً في مسألة أمارة البحرين.

وبعد أن تم تسلم الأمير عبد الله ورقة الأمان المرسلة له من قبل خورشيد باشا ، والورقة التي كتبها له محمد رفعت ومهرها بختمه ، تم الاتفاق بينهما على الشروط التالية :

أولاً : أن يكتب عبد الله إلى ولده مبارك ، يأمره بطرد عرب الهواجر والعماير ، المقيمين عنده في برّ القطيف ، أو أن يضمن جميع ما يقع منهم من أضرار على أهل القطيف ، وأن يطلب منه ألا يقبل أحد من عربان العماير الهاربين.[1]

ثانياً: يأخذ عبدالله بن أحمد العوايد التي كانت في السابق من غواصي البحرين والقطيف وبعض غواصي القرى الأربع التي تقع على ساحل بحر قطر ، وأن يكونوا جميعا من طرفه .

---

[1] عبد الرحيم ، محمد علي ، 2/ 226-335

ثالثاً : زكاة عربان قطر من مواشي وإبل وغنم ، فتدفع لحكومة خورشيد باشا ، وأن يكون هؤلاء رعية لحكومة محمد علي ، فرضي بذلك .

رابعاً : يقبل عبد الله بن أحمد إقامة ممثل ، من طرف خورشيد في البحرين ، لقضاء أشغاله في البحرين ، ويقبل التعاون مع حكومة خورشيد في نقل العساكر إلى البحرين أو أي مكان آخر .

خامساً : يعيد كل من الطرفين إلى الطرف الآخر الأشخاص الذين يهربون إلى جهته ، مع قبول رجاء عبد الله بن أحمد في إعطاء الأمان لعمر بن عفيصان حاكم الإحساء السابق ، هو ومن معه من اللاجئين السابقين .

فسُرَّ خورشيد بانتهاء مسألة البحرين ، وأسرع بالرد على الأمير عبدالله برسالة ملؤها الود والصداقة قائلاً فيها " هذا هو المأمول من صداقتكم إن شاء الله ، نحن وأنتم حال واحد "[1].

ووضعت هذه الشروط موضع التنفيذ ، وثارت بريطانيا وهددت وتوعدت غير أن خورشيد باشا لم يستجب لهذه التهديدات[2].

وذكر خورشيد باشا للمقيم البريطاني أن هذه الأمور لن تؤثر على العلاقات الودية بين الدولة الإنجليزية ومحمد علي ، وأنه من جانبه أرسل إلى محمد علي يستوضحه الموقف ، وعليه أن يرسل لحكومته يستوضحها الموقف ، حتى يمكن الاتفاق على نقاط الخلاف راجياً ألا يحصل أمر يوجب الاختلاف بين الدولتين العليتين " ، وبناء على ردّ الدولتين إليهما يتم التفاهم " وبمقتضاها نفيدكم وتفيدنا ولكم العز

---

[1] الوثيقة السابقة (137) حمراء ، الجواب المرسل إلى عبد الله بن أحمد آل خليفة ، بتاريخ 17 جمادى الأولى 1255هـ /29 يوليو 1839م، يوجز عثمان بن بشر القول في موضوع الاتفاق ، ومهمة محمد أفندي رفعت بقوله في ج 2 ، ص 86 " قدم محمد أفندي من البحرين وكان الباشا بعد مصالحة أهل الخرج ، وأرسله بمراسلات لآل خليفة ولا اتفق بنهم حال ؟، فسار إلى فارس واشترى كثيراً من البر والشعير ، وقدم به إلى الإحساء ، ثم كاتب الباشا ، فأمره بالرجوع إلى البحرين ، فوصل إلى آل خليفة وصالحهم ، ثم رجع إلى الإحساء وكاتب الباشا ، فكتب إليه الباشا ، أن يصير أميراً على الإحساء ويكون أحمد في بيت المال .

[2] عبد الرحيم ، محمد علي ، 2/335-338

والبقاء "[3]. فلم يستجب المقيم البريطاني لدعوة خورشيد الودية ،وظل يقوم بأعماله المضادة لإفساد الأمر بين البحرين وحكومة خورشيد محاولاً إقناع أمير البحرين بأن ينفض يده عما اتفق عليه مع خورشيد باشا . ووعده بوضع حامية إنجليزية في قلعة البحرين ، وسفينتين حربيتين أمامها، وأن يمنح الشيخ حماية إنجليزية ، ولا يأخذ منه زكاة ولا جمركا لمدة خمس وعشرين سنة ، وتبقى حكومة الجزيرة على ما هي عليه في يد آل خليفة ، ولكن الشيخ امتنع عن قبول الحماية ، وعدل عن الرضا بها ، فرد عليه رافضاً بلباقة مفضلاً الانضمام إلى حكومة خورشيد باشا لأننا " منذ القديم مشتركون مع أهل نجد جيراننا في التجارة ، فلا يمكن أيضاً أن نفترق عن ما لنا وملكنا "[1].ولما رفض أمير البحرين قبول هذه الوعود الإنجليزية ، اتبع المقيم أسلوب التهديد والوعيد ، فهدد الشيخ بأنه سوف يلحقه الضرر إذا لم يستجب لمطالبه.[2] ولكن الشيخ لم يرضخ لهذه التهديدات ، فليس من حق الحاكم العام الاعتداء على بلاده ، وإن حدث فسوف يسعى أمير البحرين لحماية أهله ورعاياه وملكه وأموالهم وبلاده ودينه ، فلم يجد المقيم رجاء فيما ذهب إلى تحقيقه في البحرين ، فتركها يجرًّ أذيال الخيبة متجهاً شطر الساحل العماني.[3] وإزاء هذا الموقف الإنجليزي ازداد تمسك خورشيد باشا بالبحرين لما لها من أهمية إستراتيجية واقتصادية وعمرانية ، ولذا طلب أمير البحرين من خورشيد باشا " أن لا يمنع عرب نجد من المجيء عندنا ، بل أرجوه أن يسهل لهم مجيئهم " ، حتى يمكنه في حالة هجوم الإنجليز عليه ، أن يعد قوة تبلغ عشرة آلاف مقاتل

---

[3] دار الوثائق القومية : محفظة (137) حمراء ، المرفق العربي ، صورة الجواب المرسل إلى البالسيوز ، قنصل الإنكليز . بتاريخ 17 جمادي الأولى 1255هـ / 28 يوليو 1839م

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، وثيقة (39) أصلية ، (6) حمراء ، من خورشيد إلى الباشمعاون الخديوي . بتاريخ 3 شعبان 1255هـ / 12 أكتوبر 1839م.

[2] عبد الرحيم ، محمد على ... 2/339-342 عبد الرحيم ، محمد على ... 2/339-342

[3] دار الوثائق القومية : محفظة (39) أصلية ، (6) جمراء .، وقد جاء في رد الشيخ عبدالله بن أحمد علي المقيم " فإذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتداراً ، سنبذل كل ما في وسعنا في سبيل حماية ملكنا وأهلنا وهيالنا وديننا ، وليحصل بعد ذلك ما يحصل "

، من أهل نجد والعراق لمواجهة هذا الموقف . فاستشار خورشيد باشا القاهرة في هذا الموقف ، فجاءته تعليمات سرية بتاريخ 19 رمضان 1255هـ / 25 نوفمبر 1839 م ، بأن يسمح لمن يريد من عرب نجد بالذهاب إلى البحرين ، وأن يغض الطرف عن ذلك ، حتى يتمكن شيخ البحرين من إيجاد القوة التي تعينه في مواجهة الموقف الإنجليزي[4] فنفذ خورشيد هذه التعليمات ، لمجابهة موقف المقيم البريطاني في الخليج وتهديداته لأمير البحرين.

وتزايد موقف أمراء بني خالد سوءاً حين قدم محمد رفعت أفندي ليحل محل أحمد في السديري في حكم المنطقة ، فعمل على استخدام البطش والقوة والإرهاب ،مما جعلهم يفقدون الأمل بالإمارة ، خاصة حين وفدوا إلى خورشيد باشا يطلبونها غير أنه رفض ، وجدد ثقته بمحمد رفعت أفندي ، لذا لم يكن من الغريب أن يشترك أمراء بني خالد وهم برغش بن زيد بن عريعر ومشرف بن دويحس بن عريعر وأخوه طلال في مؤامرة نتج عنها مقتل محمد أفندي نفسه في غرة شعبان 1255 هـ / أكتوبر 1839م.[1]

مما أدى إلى إثارة الاضطرابات في الإحساء وإضاعة جهود محمد أفندي في دعم الحملة عن طريق جمع المؤن والغلال من المناطق المجاورة فسارع خورشيد باشا بتعيين محمد شرمي أفندي بدلاً منه ، للحفاظ على نفوذه وقوته التي حققها في المنطقة[2]. لقد حاول أمراء بني خالد الاستفادة من والي العراق العثماني على

---

[4] دار الوثائق القومية : محفظة:(39) أصلية (69 حمراء . وقد جاء في هذه التعليمات " ولكن ليحترز من أن يعلم خليفة بمآل الأمر الصادر له" أي لخورشيد ، وهذا مما يدل على حذر حكومة محمد علي وحرصها على أل تتسرب أنباء تعليماتها بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الحكومة ، ولكن هذه العبارة تثبت تمسكها بالبحرين عن طريق تقديم المساعدة لأميرها الذي أصبح متعاهداً معها .

[1] ابن بشر، المصدر السابق ،2/110-111،وقد تم إعدام برغش بن زيد من قبل قوات محمد علي باشا لذلك السبب،انظر ،سعيد آل عمر،تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج،ص 188،الطبعة الأولى،الرياض،مكتبة العبيكان و1417هـ/1996م،وانظر،صلاح الدين المختار، المصدر السابق،1/ 306

[2] محافظ الحجاز،محفظة(8)وثيقة(75)حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول مقتل محمد رفعت واضطراب الأحوال في الإحساء،23شعبان 1255هـ

رضا للعودة لإمارة الإحساء ، وحين فشلوا في ذلك لجأوا إلى خصمه خورشيد باشا لتحقيق الغرض ذاته ، غير أن دعم خورشيد لهم في البداية لم يكن إلا وسيلة لاستخدامهم لخدمة أهدافه إذ لم يلبث أن انفردوا بحكم المنطقة ، وحينئذ قلب أمراء بني خالد له ظهر المجن ، وأثاروا المشاكل بوجهه والتآمر لقتل قادته ، وبذلك أراد قادة محمد علي باشا إزاحة أمراء بني خالد من طريقهم لإحكام سيطرتهم على الإحساء وما وراءها.[3]

وهذا عبد الرحيم يؤكد سير محمد أفندي بنفس سير سلفه محمد رفعت ، ولم يتجنب أخطاءه ، بل ارتكب كثيراً من المظالم ، وصادر أموال أهل الإحساء[1]، مما أساء إلى حكم محمد علي في المنطقة وجعل كثيراً من الأهالي غير راغبين في هذا الحكم ، في الوقت الذي كانت بريطانيا ، قد أحكمت مخططها لضرب سياسة محمد علي التوسعية في كل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وتآمرت عليه دولياً ، وأجبرته على سحب قواته من كل مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام[2]، وعلى الرغم من تنصيب خالد بن سعود أميراً على نجد من قبل محمد علي إلا أنه اقتصر دوره على التنقل بين الرياض وثرمداء التي يقيم فيها خورشيد باشا[3]، وتظهر الوثائق انعدام أي دور أو سلطة علية لخالد بن سعود ، لدرجة أنه عندما أراد أن يؤدب بعض القبائل لاعتدائها على قوافل تابعة له وقادمة من

---

(3) المسعود ، المرجع السابق ، ص 303 – 304

(1) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 87 . ويذكر عن محمد أفني حاكم الإحساء الجديد " فقدم الإحساء وجلس فيه بعسكره ، وأمضوا ما قرره لهم الأفندي الظلم من المظالم ؟، وصادروا أهلها كما صادرهم ذلك الظالم ، فشقى هو بأوزارها ، وبقي عليه في الدنيا عارها.

- Philby , (st.j.) , op . cit , p.157.

(2) عبد الرحيم ، محمد علي 346/2.

(3) محافظ الحجاز:محفظة (9) وثيقة (237) حمراء رسالة من محرم أغا إلى باشمعاون حول أخبار نجد، 18 ذي الحجة 1255 هـ

الإحساء إلى الرياض ، منعه خورشيد من ذلك ، وطلب منه القدوم إليه في ثرمداء.[4]

ولقد أوعز خورشيد باشا إلى خالد بن سعود بإرسال خطاب إلى أبناء السلطان سعيد سلطان مسقط طالباً منهم التعاون معه ، ودفع الزكاة لموفده سعد بن مطلق ويحمل الخطاب شيئاً من التهديد في حالة عدم التعاون والامتثال لما يحمله هذا الموفد[5]. فأرسل السلطان رسالة إلى محمد على يبلغه فيها ما بدر من خالد بن سعود تجاه عمان ، ويحذره من أن خالداً سيكون مصدر خطر على حكومة محمد علي كما كان الإمام فيصل من قبل ، وطالب كف أذى خالد لأنه محسوب على دولة محمد علي باشا[1]. فأرسل محمد على رسالة إلى أحمد باشا في الحجاز طالباً منه مكاتبه السلطان معتذراً عما حدث بسبب صغر سنه ، وقلة خبرته ، وأنه سيكتب إليه للكف عن مثل هذه التصرفات[2]، كما أرسل محمد علي خطاباً إلى خالد نفسه يطلب منه عدم التعرض لإمام مسقط ويلومه على تصرفه السابق.[3]

لقد حرص خورشيد باشا على ربط نجد بمواني الخليج العربي لتسهيل اتصالها البحري ، وعمل على استمالة الأهالي والتقرب إليهم ، كما عمل على استمالة الفارين وإعادتهم إلى بلدانهم كي لا يكونوا مصدر خطر على حكم خورشيد.[4]

---

[4] محافظ الحجاز : محفظة (9) وثيقة (237) حمراء .

[5] محافظ عابدين : محفظة (266) ، مرفق عربي بالوثيقة (181) حمراء . (43) أصلية . رسالة من خالد بن سعود إلى لأبناء سلطان مسقط حول التزامهم بما كان على والدهم ، دون تاريخ

[1] محافظ عابدين : محفظة (266) مرفق عربي بالوثيقة (181) حمراء (43) أصلية . رسالة من إمام مسقط إلى محمد علي باشا حول رسالة خالد بن سعود لأبنائه ، 14 جمادي الأولى 1255 هـ

[2] محافظ الحجاز : محفظة (9) مرفق (ج) بالوثيقة (181) حمراء . إرادة (25) إلى أحمد باشا بالرد على خالد بن سعود بعدم التعرض لإمام مسقط ، 3 ذي القعدة 1255 هـ.

[3] محافظ الحجاز،محفظة(9)وثيقة(104)حمراء،رسالة من الجناب العلي إلى أحمد باشا وإلى خالد بن سعود بالكف عن سلطان مسقط،3ذي القعدة1255هـ.

[4] محافظ عابدين : محفظة (167) وثيقة (163) حمراء.

سلك خورشيد باشا مسلكاً مغايراً لقادة محمد علي فتقرب إلى العلماء والمشايخ فأكرم الشيخ محمد بن مقرن الدوسري[5]، وأرسل ابن الشيخ إبراهيم بن يوسف إلى مصر لتلقي العلم في الأزهر[6]، كما أنه لم يتعرض للقضاء أو يحدث به أي تغيير ، بهدف عدم إثارة مشاعر الأهالي وإشعارهم أن شؤون القضاء لا تعنيه بحال من الأحوال[7] ورتب خورشيد قواته من جديد وأرسل إلى الحجاز كشفاً بأسماء الموجودين لديه وأسماء من ماتوا ، ومن نقلوا ، وحمل الكشف معلومات كاملة عن الجميع[1] وذلك كي يعرف حاجته الفعلية من القوات والعتاد مُركزاً على الكيف وليس الكم[2] وارتبطت العلاقة بين خورشيد باشا والقبائل بمسألة تقديمها الجمال لجيشه الموجود في نجد ، ونظراً لمبالغته في عددها اضطرت بعض القبائل للابتعاد عن مناطقها كالدويش زعيم قبيلة مطير[3] وقبيلة سبيع[4] وحينما بدأ خورشيد باشا تحركه صوب الخليج ، أرسل مبعوثه محمد أفندي إلى الكويت وقد لقي لدى الشيخ جابر الصباح (1229-1276هـ/1814-1859م) مقاماً طيباً ، فاشترى الإمدادات اللازمة لقوات خورشيد التي تقيم في نجد ، من الكويت والبصرة ، ومنطقة الساحل الإيراني ، وقد تمكن من شراء كميات من

---

(5) عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، علماء نجد ،3/ 94.

(6) محافظ الحجاز : محفظة (5) وثيقة (87) حمراء.

(7) مالك رشوان ، سياسة محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية (1226-1256هـ) ص 205 ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ،كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، 1978م.

(1) محافظ الحجاز : محفظة (9) وثيقة (7) حمراء . رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون الخديوي كشف بأسماء من معه في نجد وكناهم ، ومن قتلوا ومن رحلوا إلى مصر ، 1 ذي القعدة 1255 هـ.

(2) محافظ الحجاز : محفظة (6) وثيقة (79) حمراء.

(3) محافظ الحجاز : محفظة (4) وثيقة (135) حمراء.

(4) محافظ عابدين : محفظة (266) وثيقة (4) أصلية (89) حمراء .كما طلب خورشيد ثلاثة آلاف جمل من قبيلة عنزة ، وخمسة آلاف جمل من قبيلة قحطان ، وتشير بعض الوثائق إلى أن المطلوب من قبيلة مطير أربعة آلاف جمل وليس ثلاثة آلاف . محافظ الحجاز : محفظة (8) وثيقة (4) حمراء رسالة من أحمد باشا إلى حسين باشمعاون الخديوي حول أخبار قبائل نجد والجمال المطلوبة منها ، 5 رجب 1255 هـ .

الشعير حملها في عدة قوارب في رمضان 1255 هـ /1839م) إلى القطيف[5]، وفي الوقت نفسه يجمع الأخبار عن المنطقة عامة ، والعراق بخاصة تمهيداً للخطة التي وصفها خورشيد باشا لانتزاع العراق من الدولة العثمانية ، وكان التظاهر بجمع المؤن ستاراً يخفي الأفندي هدفه الحقيقي وهو مراقبة النشاط العثماني في البصرة.[6] لقد قلقت السلطات البريطانية لتعاون شيخ الكويت مع محمد أفندي وتقديمه التسهيلات اللازمة للقوات العثمانية التي هربت من البصرة ، تحت قيادة " محمود أغا المورة" ، وأرادت الإلتحاق بقوات خورشيد باشا في نجد ،حيث أركب هذه القوات سفينة وصلت بها إلى الإحساء ورفض طلب سلطات البصرة في إلقاء القبض على هؤلاء الهاربين ، وإعادتهم إليها[1] ولقد أدرك محمد على خطورة البصرة على وجوده في شبه الجزيرة العربية . وبخاصة بعد عدائه السافر للدولة العثمانية ، في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، ولذا فإنه عاود اهتمامه بالعراق عامة ، والبصرة بخاصة ، ووضع ضمن برامج مخططه التوسعي محاولة غزو البصرة ، إن لم يكن هذا هو هدفه من معاودة نشاطه في شبه الجزيرة العربية لضرب النفوذ العثماني في هذه المنطقة[2] في الوقت الذي يتطلع فيه محمد علي باشا لغزو البصرة كان خورشيد باشا يحاول الاستفادة من إمكانات الأراضي الزراعية التي سيطر عليها في نجد ،فأحصى بلدانها وما يمكن أن تقدمه من زكاه فبلغ المقدار المحصل من الزكوات حوالي (120أردباً بينما بلغ ما تم شراؤه من الغلال حوالي 14-131 إردباً في سنة 1255 هـ / 1839م[3] وبالرغم من جهود خورشيد باشا لحل مشاكله الاقتصادية إلا أنه ظل يعاني من نقص المؤن ،

---

[5] نورية محمد ناصر الصالح ، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ، ص 22 ، الكويت ، ذات السلاسل ، 1967 م.

[6] ج . ج لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، 3 / 1513 .

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (266) عابدين ، وثيقة (104) رقم (7) حمراء.

[2] عبد الرحيم ، المرجع السابق ، 2/ 274-375.

[3] محافظ الحجاز : محفظة (167) وثيقة (163) حمراء.

فضلاً عن مشاكل اعتداءات القبائل على القوافل الممونة لقواته مما أدى إلى اختلال الأمن بين بلدان نجد بعضها مع بعض ، وبينها وبين الإحساء أحد مراكز التموين [4]كما عانى خورشيد من بعض مشكلات البريد وتأخر وصول الرسائل بنحو ثلاثين إلى أربعين يوماً عن وقتها المحدد لها[5] وعانى من قلة الكتّاب في إدارته.[6]

هذا وقد تحولت البصرة إلى مركز من مراكز المقاومة المضادة لنشاط محمد على بحكم تبعيتها للدولة العثمانية التي أصبح عدوها الأول محمد علي ، فاستقبلت الثائرين ضد نظامه ، وكان والي بغداد يتجسس على تحركات قوات محمد علي ويعمل على مقاومتها ، ولقد أخافت تحركات والي بغداد خورشيد باشا ، فجعل يعمل على إثارة الساخطين على سوء الحكم في بغداد ، وعلم علي باشا بهذه الاتصالات المضادة التي يقوم بها خورشيد باشا ، فاشتد اضطهاده لأهل العراق.[1] وهذا خورشيد باشا يطلب الإذن بغزو العراق بعد وصول قواته إلى الإحساء والقطيف ، مغرياً محمد علي باشا بأن " العراق ملك عظيم ، يضاهي ملك مصر ، وهو كالحسام الجوهر ، الذي سقط في حفيره ، فالتقاطه الآن واجب ، والشيء إذا صار وقته لا ينبغي تركه[2]. وستكون هذه الحملة بعيدة عن الأخطار أو الاعتراض من جانب الإنجليز ، ولكن إغراءات ونداءات خورشيد هذه جاءت في وقت ، كان الموقف الدولي في غير صالح محمد علي ،لأن بريطانيا وقفت في وجه سياسته التوسعية في منطقة الخليج ،فلو نجح في الاستيلاء على

---

[4] محافظ الحجاز : محفظة (9) وثيقة (237) حمراء .

[5] محافظ الحجاز : محفظة (7) وثيقة (6) حمراء مكرر. رسالة من خورشيد باشا إلى باشمعاون حول تأخر وصول الرسائل إليه ، 3 ربيع الثاني 1255 هـ.

[6] المسعود ،المرجع السابق ، 315 – 318.

[1] دار الوثائق القومية : محفظة (264) عابدين ، وثيقة (261) حمراء ، المرفق العربي (هـ) ، من على باشا محافظ بغداد وبصره ، إلى الأمير فيصل بن تركي ، بتاريخ 22 شعبان 1253 هـ / 20 نوفمبر 1873 م.

[2] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، وثيقة (4) حمراء .

العراق سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على المصالح البريطانية في الهند.[3] وبدأت التحذيرات تتوالى على محمد علي فجعلته يتخوف ويتقاعس عن الاستجابة لإغراءات خورشيد باشا ، ثم حانت الفرصة للقضاء على طموحات محمد علي نهائياً حينما احتدمت الأمور بينه وبين السلطان ، وتحولت إلى أزمة دولية ، بعد انتصار قواته في معركة نزيب في 11 ربيع الثاني 1255 هـ / 24 يونيه 1839 م ، وزحفت هذه القوات نحو العاصمة العثمانية فتصدت لها الدول الكبرى ، وأرغمته طبقاً لمعاهدة لندن 15 جمادى الأولى 1256هـ / 15 يونيه 1840 م ،على سحب قواته من بلاد الشام ، وشبه الجزيرة العربية.[1]

3- انسحاب محمد علي من الجزيرة العربية:

لما أراد محمد على أن يسدل الستار على فكرة تنفيذ مشروع غزو العراق الذي كان خورشيد يلح في أن يصدر له الأمر لتنفيذه ، كتب له محمد على ، قائلاً " إن الوقت ليس وقت المصلحة التي تصورها ، وآمل فيها ، وأن أساس مهمته في الوقت الحاضر أن يهيئ السبيل لسحب قواته تاركاً البلاد لخالد بن سعود بشرط أن ترك عدداً من الجند يكفونه ، ثم بعد ذلك يتوجه بقواته إلى مصر ، ويغلق باب المصروفات التي فتحت لمشروعاته.[2] والمهم في الأمر أن تلك المعاهدة قد أكدت انسحاب قوات محمد علي باشا من كل أرض استولى عليها بالقوة ومنها في المقام الأول الجزيرة العربية خاصة إقليميّ نجد والإحساء . ويري البعض أن

---

[3] عبد الحميد البطريق ،محمد علي ومشروع غزو العراق،ص 58،(مجلة كلية الآداب– الجامعة الأردنية) المجلد الأول ،يناير1969م،(ص ص 46– 60).

[1] عبد الرحيم ، محمد علي ...، 2/386-387.

[2] دار الوثائق القومية : محفظة (267) عابدين ، إرادة رقم (27) من محمد علي إلى خورشيد بتاريخ 19 رمضان 1255 هـ / 26 نوفمبر 1839 هـ. ؛وانظر عبد الحميد البطريق ، المصدر السابق ،ص 60.

انسحاب خورشيد باشا وقواته من الجزيرة العربية كان تنفيذاً لقرارات المعاهدة ، وأن الأوامر وصلت إلى هذا القائد بتنفيذ تلك القرارات والعودة إلى مصر.[3]

وكان محمد علي عازماً على سحب قواته من نجد قبل معاهدة لندن بشهرين فقط[4] لأنه في 12 ربيع الأول 1256 هـ / مايو 1840 م أبلغ والي الحجاز أحمد باشا بأن خورشيد باشا على وشك الانسحاب من نجد ، وطلب منه الانضمام ومهاجمة بلدة الجديدة[1].وعلى الرغم من صدور الأوامر لخورشيد باشا بالانسحاب من الجزيرة العربية إلا أنه مكث مدة تزيد عن خمسة أشهر دون أن يتخذ إجراءات فعلية للتنفيذ ، وذلك لأسباب عديدة منها عدم ترحيب خورشيد باشا بفكرة الانسحاب لتمسكه بالمناطق التي ضمها ويرى ، ضرورة البقاء فيها للاستفادة من عائداتها المادية للإنفاق على الجنود ، وإزاء الرسائل المتكررة إليه من مصر اضطر خورشيد باشا لقبول الفكرة ، غير أن عملية تنفيذه لها استغرقت وقتاً طويلاً نظراً لحرصه على سرية عملية الانسحاب[2] حتى لا تستغل القبائل النجدية تراجع القوات وتنتقم من خورشيد وقواته لما قامت به من أعمال حربية في أراضيها ، ولذلك ترى الوثائق أن انسحاب خورشيد باشا من ثرمداء إلى عنيزة " لقضاء بعض المصالح ." وأن عودة قوات الآلاي من عنيزة إلى الشنان "كان بقصد تغيير الهواء ".[3]

---

[3] مقبل الذكير ، تاريخ نجد ، ورقة90 ،وانظر عبد الرحيم ، محمد علي .. ، 388 – 389 ،وانظر، عبد الفتاح أبو علية ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ،ص 72 ، محمد العيدروس ، السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي ، ط 1 ، أبو ظبي ، دار المتنبي ، ص 43 .

[4] عائض الروقي ، حروب محمد علي ،ص، 446.

[1] محافظ ذوات : محفظة (1) وثيقة (132) رسالة من الجناب العالي إلى أحمد باشا حول الهجوم على الجديدة ، 12 ربيع الأول 1256 هـ.

[2] محافظ الحجاز : محفظة (10) وثيقة (138) حمراء : رسالة من خورشيد باشا في شقراء إلى الجناب العالي بشأن ترك الجنود مع خالد بن سعود في نجد ، 3 صفر 1256 هـ

[3] محافظ الحجاز،محفظة(10)وثيقة(157)حمراء،رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول ترتيبات خورشيد باشا للانسحاب من نجد ، 8 صفر 1256هـ.

غير أن عقبات أخرى أخّرت خورشيد باشا في عملية الانسحاب منها وأهمها مسألة جمع الجمال من قبائل نجد ، وهي من مهام الحملة ، وقلة النقود اللازمة لسداد ديون الغلال المستحقة لأهالي الإحساء ، وكذلك الأموال التي ستدفع للجمال كأجرة لنقل الجيش وذخائره من نجد إلى مصر ، ورأت أن الحل الأمثل هو استصدار أمر من محمد علي باشا بإرسال النقود من مصر والمدينة المنورة بشكل سريع " لكي ينسحب الجيش في أقرب وقت ".[4]وتفرق جنود خورشيد باشا في أطراف نجد والإحساء يعتبر مشكله أخرى واجهت خورشيد باشا ، لأن جمعهم يحتاج إلى وقت طويل في ظل السرية المفروضة على تحركات الانسحاب ، وكذلك التدرج في سحب الجنود[1]، غير أن كثيراً من هذه المشاكل وجدت طريقها إلى الحلّ ، حيث حصل على مجموعة من الجمال تقدر بألف ومئتي رأس وهناك المزيد ، وانفرجت الضائقة المالية بإصدار محمد علي باشا إرادة بتاريخ 12 ربيع الأول 1256 هـ / مايو 1840 م لإرسال الأموال اللازمة إلى خورشيد المقيم في ثرمداء [2] ولذا بدأ خورشيد باشا الانسحاب ، وبدأ بعلي بك أمير الآلاي الخامس عشر المقيم في عنيزة بالانسحاب إلى الشنانة قرب الرس محاطا بالسرية.[3] وتحرك الباشا من ثرمداء وخلفه حسين أفندي والى الشنانة [4] وطلب خالد بن سعود ليلحق به[5] واستقر بالباشا المقام في الشنانة مع مئة هجان

---

[4] محافظ الحجاز،محفظة(10)وثيقة(106)حمراء،رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول انسحابه من نجد وطريقته،25 محرم 1256 هـ .

[1] محافظ الحجاز،محفظة (10) وثيقة (106)حمراء

[2] محافظ الحجاز،محفظة (10) وثيقة (106)حمراء.

[3] محافظ الحجاز،محفظة(10)وثيقة(28)حمراء،وكان الأورطتان الآخران موجودين في ثرمداء مع خورشيد باشا،محافظ الحجاز،محفظة(10)وثيقة(88)حمراء.

[4] محافظ الحجاز : محفظة (10) وثيقة (60) حمراء. ويذكر Winder : op . cit .p .133 أن القوة التي بقيت في ثرمداء لا تتعدى عشرين رجلاً.

[5] محافظ الحجاز : محفظة (10) وثيقة (88) حمراء.

وخمسة عشر فارساً[6] وخرجت جميع قوات خورشيد باشا من ثرمداء يوم توقيع معاهدة لندن ولحقت بخورشيد ، وقدم إليه خالد بن سعود ، وأتم إجراءات تنصيبه أميراً على نجد قبل أن يغادر خورشيد يوم 10 رجب / سبتمبر إلى قرية المستجدة في جبل شمر لاستصحاب جنوده هناك ، وتحرك في اليوم نفسه في اتجاه المدينة المنورة حيث وصلها يوم 2 شعبان / أكتوبر 1256 هـ ، وبعد أن قام بتصفية حسابات حملته وميزانيتها غادر المدينة[1] مع أتباعه يوم 26 من الشهر نفسه متجهاً إلى ينبع [2] فوصلها في 4 رمضان 1256 هـ / نوفمبر 1840م[3] ثم غادرها بسفينتين جهزتا لحمله إلى مصر [4]بينما سبقته إليها قوات الآلاي الخامس عشر المكلف بمهمة نجد ، الذي غادر ينبع إلى ميناء القصير بمصر يوم 17 شعبان / أكتوبر فيما تتابع بقية الآليات الموجودة في الجزيرة العربية وكان آخرها رحيلاً الآلاي الحادي والعشرون الذي تحرك من ينبع يوم 2 شوال 1256 هـ 4/ديسمبر 1840م لتخلو الجزيرة العربية من قوات محمد علي بشكل نهائي.[5]

وهذا د/" السلمان" يرى سببين لإصدار محمد علي باشا أوامره إلى خورشيد باشا بالانسحاب إلى مصر عن طريق ينبع ، وهما : حاجة محمد علي لهذه الجنود في حروبه الأخرى بالشام ، وحاجته إليها في مصر ضد تهديدات الدول الكبرى له ،

---

[6]محافظ الحجاز:محفظة(10)وثيقة(219)حمراء.رسالة من محرم أغا إلى صاحب الدولة،نهاية ربيع الثاني، 1256هـ.

[1] محافظ الحجاز:محفظة (11) وثيقة (149) حمراء، رسالة من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة حول إجراءاته في الشنانة وتحركه إلى المدينة ، 3 شعبان 1256 هـ ، ويذكر Winder : op . cit .p. 133 أن تاريخ مغادرة خورشيد باشا الشنانة غير معروف إلا أن هذه الوثيقة توضح تاريخ مغادرته وهو العاشر من رجب.

[2] محافظ الحجاز،حفظة(11)وثيقة(250)حمراء،رسالة من محرم أغا إلى الباشمعاون حول سفر خورشيد باشا من المدينة إلى أبيار على،26شعبان 1256 هـ.

[3] مالك رشوان ، المرجع السابق،ص205.

[4] محافظ الحجاز : محفظة (11) وثيقة (205) حمراء . رسالة من مصطفى توفيق محافظ ينبع إلى الباشمعاون حول ترتيب سفر خورشيد باشا إلى مصر ، 16 شعبان 1256 هـ.

[5] المسعود ، المرجع السابق ، 327-328.

ولهذا أمر محمد على بإعداد كشف لعدد الجنود قبل الانسحاب.[6] وثانيهما : ما أشاعته المصادر البريطانية من أن محمد علي ازدادت غيرته من "خورشيد باشا " بسبب الانتصارات التي حققها في الجزيرة العربية ، فأراد سحبه مع قواته خوفاً من منافسته أو الاستقلال عنه.ثم جاءت معاهدة لندن (1840م) لتؤكد وجوب هذا العمل [7]غير أن هذا الانسحاب أعطى الفرصة " لخالد بن سعود " أن يحكم بنفسه دون تدخل أو نفوذ من سلطة أخرى بجانبه [1]ولكن الأيام أثبتت عدم قدرته على ذلك ، فلم يستمر سوى سنة واحدة حيث ظهر منافسه " عبد الله بن ثنيان" . ومع هذه السنة لم تسلم من الأحداث التي تدل على ضعف حكومته المركزية في الرياض ، ولعل أهمها الصدام المسلح بين القصيم وحائل ، والمتمثل في موقعة بقعاء 1257هـ1841م [2]وكانت عنيزة طرفاً رئيساً في ذلك الصدام ضمن قوات القصيم مما لايدخل في درستنا هذه .

---

[6] دار الوثائق دفتر (930) مكاتبة . رقم (12) .وانظر، السلمان ، الأحوال .. ، ص 119.

[7] السلمان ، الأحوال .. ، ص 119 .

[1] يشبه مركز (خالد بن سعود) الضعيف إبان النفوذ المصري بمركز شريف مكة مع محافظ الحجاز المصري . انظر عبد الحميد البطريق ، أشراف مكة في الوثائق المصرية ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج 2، ص 232 و 333 ، (جامعة الملك سعود) .

[2] بقعا : قرية تقع شرقي حائل،على بعد95كم من مدينة حائل . انظر حمد الجاسر : معجم شمال المملكة 220/1 ، ولومير : دليل الخليج 326/1.ولمعرفة تفصيل معركة بقعاء انظر محمد السلمان ، الاحوال السياسية ص122وما بعدها.